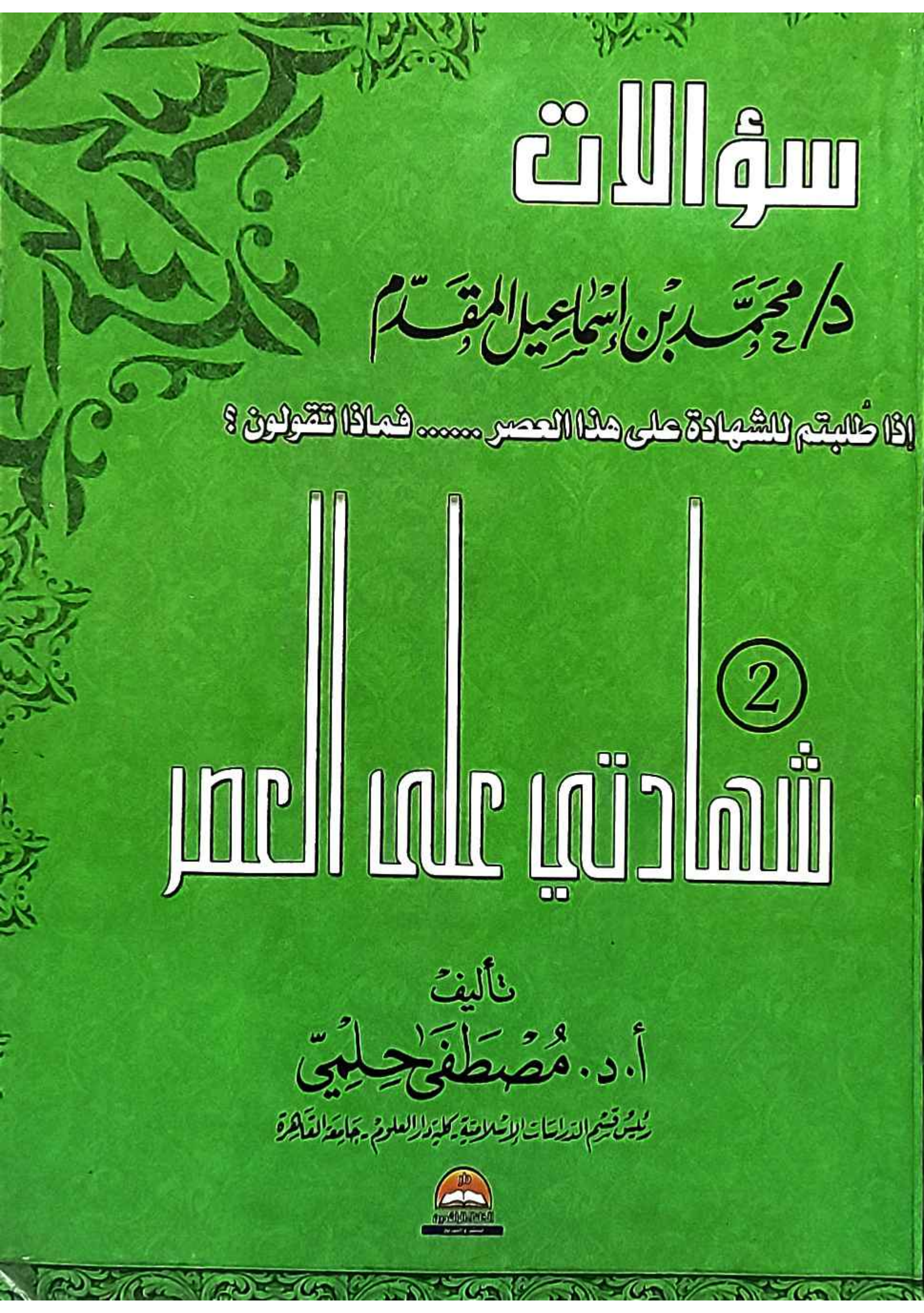

سؤالات
د/ محمد بن إسماعيل المقدم
إذا طُلبتم للشهادة على هذا العصر ...... فماذا تقولون ؟
2
شهادتي على العصر
تأليف
أ. د. مصطفى حلمي
رئيس قسم الدراسات الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

سؤالات الدكتور/ محمد بن أحمد إسماعيل المقدم

السؤال الثاني

«إذا طلبتم للشهادة على هذا العصر..
فماذا تقولون؟»

إلى الدكتور/ مصطفى حلمي

«شهادتي على العصر»

توزيع

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية ـ أبو سليمان ـ ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٦٧١٤٧٦٨ - ٠١٠٥٠١٣١٥١

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية ـ مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٢٥٨٣٤٥٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الخلفاء الراشدين

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٣٤٨٤ / ٢٠٠٩

الإدارة : ٠١٠٥٠١٣١٥١ المبيعات: ٠١٢٠١٥٢٩٠٨

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن موضوع هذا الكتاب يتضمن الإجابة عن السؤال الثاني للأخ الفاضل الدكتور محمد بن إسماعيل المقدم -حفظه الله تعالى- عن «شهادتي على العصر».

وقد التزمتُ الصدق في التعبير عما كان يجيش في صدري عند الإحساس بالقهر لهزائم حروب ٤٨، ٥٦، ١٩٦٧م، ومعايشتي منذ الصبا لعصر الاستعمار العسكري المفترس، ولكنني قاومت صدى هذه الأحداث المحزنة بانتمائي لخير أمّة أُخرجت للناس، ومتطلعًا

لبشائر صحوة إسلامية في طريقها بمشيئة الله تعالى لمزيد من الازدهار وتحقيق الانتصارات.

وكانت أذهان المستشرقين والمبشرين ورجال السياسية في الغرب قد تفتقّت أذهانهم عن أساليب شيطانية لتكبيل المارد الإسلامي:

فمنها إبعاد المسلمين عن تعاليم دينهم، وبالتالي إبعادهم عن الجهاد ليظلوا تحت استعمارهم.

ومنها إنشاء المدارس التي تشوه المبادئ الأساسية للإسلام وتزوير الحقائق ومحاولة تخريج جيل يدين لهم بالولاء.

ومنها إرسال البعثات إلى الخارج حيث يدرس الطلاب على أيدي مستشرقين ويعودون إلى بلادهم لنشر آراء أساتذتهم، ويتولون مناصب عليا وقيادية.

ومنها تشويه الحركات الإسلامية وتجميل صورة الغرب.

ومنها الوقوف في وجه أي دعوة إلى جمع شمل العالم الإسلامي.

ومنها محاربة اللغة العربية والدعوة إلى الكتابة بالعامية.

ومنها الدعوة إلى الانحلال الخلقي للمرأة ومحاربة الحجاب والدعوة إلى السفور، وغيرها.. وغيرها... ممّ ظن معه الغرب أنه لا تقوم للمسلمين معه قائمة[(١)].

ولكن ما هي النتائج؛ هل جنيَّ الغرب ثمار ما غرسه من بذور مرة؟

لننصت لما قاله «مراد هوفمان»، قال: «وفي ستينيات وسبعينيات هذا القرن -على عكس ما يتوقع المرء- مر كل من العالم الغربي والعالم الإسلامي بنقطة تحول كبيرة، فالإسلام المحطّم بالأزمات -ربما يقصد المسلمين- لم يدخل القبر وإنما أُفعم حيوية بدرجة أرعبت الغرب منه»[(٢)]، وهو ما نفسره بظهور الصحوة الإسلامية.

ومن يتابع تاريخ الاستعمار الغربي في العصر الحديث لبلاد المسلمين فسيكتشف أن هدفه الاستراتيجي الثابت هو إبقاؤها تحت نفوذه الثقافي والاقتصادي والسياسي، بعد اضطراره للانسحاب

---

(١) كارمن ساري «المستشرقون ومنهج التزوير» باختصار (ص:٧١-٧٥-١٠٩).
(٢) هوفمان «الإسلام كبديل» (ص:٢٠) تعريب عادل المعلم - دار الشروق ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

العسكري، لذلك أخذ يغيّر «الوسائل» حسب المراحل وبحسب ما يقابله من مقاومة وحينئذ فلا بأس من استخدام أساليب الخداع بنظم ديمقراطية شكلًا ومظهرًا بلا مضمون حقيقي، أو السماح بانقلابات عسكرية لإيهام الشعوب بأنها حققت حريتها، بينما الاستعمار قابع من وراء الستار يرقب ويخطط وينفذ ما يحقق مصالحه.

لذلك خصصت الباب الأول من الكتاب لدراسة خصائص حضارة الغرب الغازية لديارنا والمصممة على بقاء نفوذها.

وللإفلات من ضغط الإحساس بالهزيمة، كان لابد من دراسة أحوال الأمة الإسلامية التي لم تتوقف عن المقاومة؛ لاعتزازها بمكانتها وتاريخها الحضاري المشرف، فهي لم تمت، ولن تموت، ويبقى الأمل في مستقبل مشرق بمشيئة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، ورد في تفسير الشيخ عبد الجليل عيسى -رحمه الله تعالى-: «﴿أُمَّةٌ﴾ أي: طائفة. والمراد يجب أن تكونوا كلكم أمّة، من صفات أفرادها أنهم

يدعون... إلخ.

فالكلام من قبيل قولهم: ليكن لي منك صديق حميم».

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال ﷺ: «إِنَّكُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وقد فهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن خيرية الأمة مشروطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: «من سرّه أن يكون من تلك الأمّة فليؤد شرط الله فيها».

وقد فهم المستشرقون -وهم طلائع الاستعمار- حقيقة الصلة

---

(١) رواه أحمد (١١٩٣، ١٩٥١٣، ١٩٥٢٥)، والترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، وحسنّه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٠١).

بين انتصار الأمّة وارتباطها بدينها، فخططّوا بخبث شديد كما بينّا آنفًا للفصل بين الأجيال والدين، وأوهمونا بأن الغرب تخلّ عن دينه فكان سبب تقدّمه، والقياس مع الفارق بين تاريخه العقائدي وتاريخنا يطول شرحه، ولكن ثبت من الدراسة الأمينة لتاريخ الغرب ممثلًا في كبار فلاسفته كيف تغلغلت العقيدة النصرانية في آرائهم الفلسفية، وكيف احتل الدين مكانًا بارزًا فيها، استطاعوا إخفاءه بقشرة من العقلانية، وحتى الذين اتخذوا منهم موقفًا ناقدًا للدين، لم يكن يدعون لنبذ الدين ذاته واستبعاده «بل كانوا يبحثون عن طريق جديد للتديّن؛ لا إلغاء الدين تمامًا»[1].

وقد اكتفيت بالملامح العامة الخاصة بالنظم السياسية والمذاهب والأيديولوجيات دون الغوص في أعماق المجتمع الغربي -وعماده الأسرة- تاركًا الأمر لغيري من الباحثين، مُلحًّا عليهم بالرجاء في استيفاء الدراسات الاجتماعية وبيان الصورة الحقيقية

---

(١) كارين أرمسترونج «معارك في سبيل الإله، الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام» (ص:١١١) - ترجمة د/ فاطمة نصر ود/ محمد عناني - كتاب سطور بالقاهرة ٢٠٠٠م.

للمجتمعات هناك بدلًا من المظاهر البراقة التي تنقلها إليها أجهزته الدعائية حتى لا نكتشف مدى الانحطاط التي وصلت إليه[(١)].

أنا النظرة العنصرية الغربية لنا فإننا لم نخترعها من عدم أو

---

(١) يقول الأستاذ جمال الغيطاني: «... صحيح أنني كنت قرأت كتابًا بالإنجليزية عنوانه «موت الأسرة» كان صاحبه يتنبأ باندثار الأسرة في القرن الحادي والعشرين، لكن أن تقرأ عن الظاهرة شيء، وأن تواجهها على أرض الحقيقة أمرٌ آخر»، وكان قد زار بيتًا يعيش فيه رجل وامرأة وأنجبا طفلًا بدون زواج، ولاحظ أن الأمور تطورت بتكرار هذا الأنموذج وانتهت إلى أوضاع من المستحيل على عقله -كرجل مسلم- أن يتقبلها! ويعلل الظاهرة بإطلاق الحرية للمرأة في الإنجاب بدون زواج، ثم يقول في تعليقه على ذلك: «فمنذ اثنى عشر عامًا أتردد على أوروبا وأكتشف شيئًا فشيئًا مدى التفكك الإنساني، والانهيار النفسي الذي يعانيه البشر هناك، وقد أصابهم ظهور طاعون العصر «الإيدز» خلال ما عُرف بالحرية أو الثورة الجنسية».

ثم يقارن ذلك بأوضاعنا في بلاد المسلمين فيقول: «ارتباطنا الأسري، إحدى ركائز إنسانيتنا ومن أهم أبعادها، أما هذا الذي يجري على الضفة الأخرى للبحر، فإنه يلغي جانبًا من إنسانية الإنسان وبشريته مهما كانت المسمّيات».

جمال الغيطاني «كتاب الأسفار: ١- أسفار المشتاق. ٢- أسفار الأسفار» تقديم د/ عبد العزيز المقالح (ص:٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١) مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٩م.

نستمدّها من عالم الخيال، بل هي مستقاة من الواقع المرير الذي عايشه وتعترف به عالمة الأديان الشهيرة «كارين أرمسترونج»، فتقول بالحرب الواحد: «ولكننا لا نزال نتحدث اليوم بنفس الأسلوب -أي أسلوب سكان يهوذا (٩١١ - ٨٧٠ ق.م) - عندما نقول إن أعداءنا يشغلون «إمبراطورية الشر» القادرة على تحويل «عالمنا» إلى فوضى العماء، ولا نزال ننظر إلى الحياة باعتبارها صراعًا بين قوى النور والظلام، وما زلنا نخشى العودة إلى الهمجية الكفيلة بتقويض كل ما قمنا «نحن» بإبداعه، وما تزال لدينا طقوسنا الخاصة بنا، مثل إقامة الصلوات التذكارية، ووضع أكاليل الزهور على الأضرحة والنصب، وتنظيم المسيرات والمواكب، وهي التي تهدف إلى إثارة استجابة عاطفية، **وبعث معارك الماضي في الحاضر**، ونحن نتذكر بوضوح ذلك الزمن الذي أحسسنا فيه بأننا نقف وحدنا في مواجهة عالم معاد لنا، ومن ثم فنحن نشعر بالأمل والكبرياء والالتزام مجددًا بمواصلة الكفاح، وكان شعب أورشليم القديمة يلجأ إلى وسائل مماثلة، يستند فيها إلى الأساطير الكنعانية القديمة

التي جعلها من أساطيره الخاصة»[1].

وكان يجب تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة، ومنها تصوّر أن حملة نابليون على مصر كانت بغرض الأخذ بيدنا إلى طريق الحضارة، ففي هذه الواقعة تقول كارين أرمسترونج:

«وفي عام ١٧٩٨م أبحر نابليون إلى مصر ومعه عشرات الباحثين المهتمين بالشرق وأوكل إليهم مهمة القيام بدراسة علمية للمنطقة تمهيدًا لاستعمارها، وكان هدف نابليون إرساء وجود فرنسي في الشرق يتحدى به استحواذ بريطانيا على الهند، وقد أعدّ نفسه لتوظيف علم الاستشراق الجديد لخدمة طموحاته السياسية...».

وبعد سرد تاريخ الحملة وهزيمة الجيش الفرنسي في عكّا قالت: «وهكذا فشل مسعى نابليون في إقامة إمبراطورية في الشرق

---

(١) كارين أرمسترونج «القدس... مدينة واحدة، عقائد ثلاث» (ص:١٢) - ترجمة د/ فاطمة نصر، ود/ محمد عناني مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م. وكانت حريصة في وصف الواقع بالمقارنة بالماضي بقولها: «وقد تبدو لنا هذه النظرة ضربًا من شطط الخيال، ولكننا لا نزال نتحدث اليوم بنفس الأسلوب»! ولعل الصراحة الفجّة توقظ النائمين بتأثير سحر أسطورة العصر «العصرية».

وأُجبر على العودة لأوروبا»[١].

ويرى في نهاية عرضه لأثر الحملة الفرنسية أن من المبالغة القول بأن الحضارة الحديثة دخلت مصر أثناء الاحتلال الفرنسي بجهود العلماء الذين رافقوا الحملة والصحيح أن «أعظم ما حققوه هو تقديم مصر للغرب، أكثر من تقديم حضارة الغرب لمصر أو التأثير في المصريين»[٢].

وخلاصة القول أن الحملة الفرنسية أجهضت حركة نهضة ذاتية، وهل تأتي النهضة في ركاب الغزاة؟

وفي ظل الدراسات التاريخية الحديثة اختفت الصورة التقليدية للحملة الفرنسية على مصر باعتبارها جاءت لتخليصها من ظلم واستبداد العثمانيين والمماليك، وحلت محلها صورة مقابلة كشف عنها جيل من المؤرخين الأكاديميين والنقديين مع بداية السبعينيات من القرن العشرين بسبب اكتشاف «كنز متدفق من الوثائق والحجج التركية والعربية الخاصة بالعصر، وعلى رأسها المحكمة الشرعية

---

(١) كارين أرمسترونج «القدس... مدينة واحدة، عقائد ثلاث» (ص:٥٥٧، ٥٥٨).
(٢) نفسه (ص: ١٨٠).

والدفاتر المالية وحجج الأوقاف وغيرها... وقد أدى الاعتماد على هذه المصادر إلى توسيع مجالات البحث، وظهور الاهتمام بتاريخ العلماء والتجار والحرفيين وبالحياة اليومية لعامة الناس، واقتضى الأمر إعادة النظر والدراسة، خاصة في مجال التاريخ الاجتماعية والاقتصادي لمصر في العصر العثماني، فكان اكتشاف هذه المصادر والاستفادة منها دافعًا لإحداث تطورات مهمة شككت في النظرة العامة، والتي باتت تقليدية، لذلك التاريخ»[١].

ويتضح من هذه الوثائق أن المجتمع الزراعي كان نشطًا وكان هناك حيازة للأراضي قبل محمد علي، وأن الرأسمالية ظهرت في المجتمع الريفي قبل القرن التاسع عشر، وأن الأزمة الاقتصادية لم تكن بسبب العثمانيين، ولكن بسبب كوارث طبيعية -كما اتضح أن ترحيل أهل الحرف والصناعات أيام السلطان سليم لم يؤثر على القطاع الحرفي لمدة طويلة إذ أمر بالعودة إلى بلادهم، وأثبتت وثائق

(١) د/ أحمد زكريا الشلق «الحداثة والإمبريالية - الغزو الفرنسي وإشكالية النهضة» (ص:١٧) مكتبة الأسرة ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩م.

المحكمة الشرعية ازدهار الحركة التجارية ونمو الحياة الاقتصادية[١].

وفي المجال الثقافي والعلمي شهدت هذه الفترة إنتاجًا وفيرًا من الكتب والمصنفات واتساعًا للموضوعات والمجالات التي تناولتها وربما يفوق هذا الإنتاج مثيله في فترة محمد علي، وبرزت كتابات مهمة في علم الحديث وعلوم أخرى مساعدة كعلوم اللغة والأدب والتاريخ ونحوها، كما ازدهرت حركة تأليف المعاجم والحوليات التي كان يكتبها عسكريون عثمانيون.

وفيما يتعلق بالعلوم العقلية كالرياضيات والطب والكيمياء والفلك، فقد كانت موجودة وإن لم تحظ بنفس المكانة والاهتمام اللذين كانت حظيت بهما العلوم النقلية[٢].

ويلاحظ أن علماء هذا العصر كانوا بشكل عام من «الموسوعيين» ولعل أشهرهم «مرتضى الزبيدي» (١٧٣٢-١٧٩٠) ومعجمه الموسوعي «تاج العروس» وهو بمثابة دائرة معارف لا

(١) نفسه (ص: ٢١، ٢٢، ٢٤).

(٢) نفسه (ص: ٢٧، ٢٨، ٢٩).

تضارعها دائرة المعارف الفرنسية التي أنتجتها عدة شخصيات، وفي الطب كانت هناك مستشفى تعليمية كبيرة تضم مختلف تخصصات الطب، وبلغت المرأة المصرية في هذا العصر منزلة كبيرة في تحصيل العلوم.

ويقول الدكتور أحمد زكريا: «لقد استنتج «بيترجران» من خلال دراسته العلمية الموثقة أن مصر تمتعت بنهضة ثقافية محلية سبقت مجيء الغرب»[(١)].

وعرضت في الباب الثاني من الكتاب لبعض القضايا المتصلة بالعالم الإسلامي وواقعه ومستقبله المأمول، إذ تسمح لنا الدراسة المقارنة بين العالمين الغربي والإسلامي إلى القول بأن المأمول تحوّل حركة اليقظة الإسلامية من إحياء ثقافي إلى سلوك عملي على أرض الواقع بتكثيف الجهود وزيادة الوعي والثقة بالذات، وهو ما انتهى إليه وزير خارجية تركيا الحالي «أحمد داود أوغلو» إذ رصد بكتاباته «بعض عناصر القوة الكامنة التي من شأنها زيادة جاذبية الرؤية الإسلامية أو المنظور الإسلامي ونموذجه كبديل نظري أكثر قدرة

---

(١) نفسه صفحات (٢٦، ٣٢، ٤٢).

على معالجة أزمات النظام العالمي»[١].

ويقول الأستاذ علي جلال معوض: «كما يطرح أوغلو بعض الأبعاد والتطورات الواقعية الإيجابية التي تؤذن باحتمالات تفعيل برنامج سياسي لإنشاء مركز حضاري إسلامي على أرض الواقع، وهو ما يرتبط بحركات الإحياء الإسلامي، وانكشاف إفلاس وعجز النخب التغريبية المحتكرة للسلطة السياسية في الدول الإسلامية، وعجزها عن تحقيق ما وعدت به من إنجازات سياسية واقتصادية، فضلًا عن تجلّي انحياز الغرب ومعاييره المزدوجة في التعامل مع العالم الإسلامي وقضاياه ودوله بما يعزّز الوعي الإسلامي، وذلك في إطار ما يسميه أوغلو «مرحلة تجديد الإدراك الذاتي الإسلامي وتخلصّه تدريجيًا من عقدة الدونية التي سيطرت

---

(١) مقال بعنوان «قراءة في فكر داود أوغلو» بقلم علي جلال معوض مجلة «السياسة الدولية» العدد ١٧٩ يناير ٢٠١٠م المجلد ٤٥. وقد جمع «أوغلو» بحكم تخصصه الأساسي كمفكر أكاديمي متخصص في الفلسفة السياسية والعلاقات الدولية من جهة، بالإضافة إلى دوره كرجل السياسة والتنفيذ العملي بحكم شغله العديد من المناصب السياسية منذ وصول حزب العدالة والتنمية للسلطة في نوفمبر ٢٠٠٢م.

على الذهنية المسلمة إبان الحقبة الاستعمارية»[(١)].

وإلى نفس النتيجة، وصل إليها الفيلسوف الفرنسي «جارودي» بعد خوض التجربة لسنين طويلة ومعاناة في البحث عن الحقيقة، وشغفه في العثور على ما يداوي جراح الغرب، إذ تبيّن له فشل الفلسفة الماركسية، وقبلها لم تسعفه النصرانية في تحقيق العدالة الاجتماعية، ثم وجد ضالته في الإسلام ومن رأيه أنه: «ينبغي أن تكون رؤيتنا للإسلام عبر القرآن والسُّنَّة النبوية، فهذا الدين ينبذ الازدواجية المزيّفة في شؤون السياسة والعقيدة والمسجد والدولة، ولا شك أن في مقدرة الإسلام السيطرة على الأزمة الحضارية والانحلال في المجتمع الغربي بفضل تشبث الإسلام بوحدانية الخالق ﷻ، وبوحدة العقيدة والعمل، فهو حامل لعوامل الجهاد ضد الاستلاب الاستعماري، وقد نجح فعلًا في بث روح الجهاد في نفوس الجزائريين بالأمس، ويدفع اليوم المجاهدين من الأفغان إلى التضحية بكل نفيس. أما الإنسان الغربي، فقد أفرط في علاقته مع

---

(١) نفسه.

الطبيعة والمجتمع والإله، فيعتقد أنه سيد الطبيعة ومالكها ويعتبرها مجرد مستودع الخام يتلاعب به حسب هواه، وبهذا يؤكد أن النصرانية لم تساعد الإنسان على الحفاظ على البعد العالمي الذي دعا إليه الإسلام، خصوصًا بعدما انضمت النصرانية في القرن الرابع الميلادي إلى الثنوية اليونانية»[(١)].

وقد عنيت في الباب الثاني من الكتاب أيضًا بإيضاح معالم الإسلام وآثار الإيمان في النفس المطمئنة التي تنقذ مسلمي العصر، من فتنة حضارة الغرب، فإن «الذين تصل عقولهم وقلوبهم إلى أن تؤمن بالله من طريق النظر في الكون إيمانًا صادقًا يدعوهم إلى أن يُسلموا لله وحده أمرهم، فأولئك لا يعرفون لغير الله خضوعًا ولا إذعانًا... والنفس الراضية المطمئنة إلى هذا الإيمان لا تستريح إلا في الدأب لمعرفة أسرار الكون وسننه كيما تزداد بالله اتصالًا، وسبيلها إلى هذه المعرفة البحث والنظر في خلق الله مما في الكون نظرًا علميًّا

---

(١) روجيه جارودي «لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة» (ص:٩١، ٩٢) دراسة أعدها محمد عثمان الخشت - مكتبة القرآن بالقاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

دعا القرآن إليه وجدّ المسلمون الأولون فيه، وهو الطريقة العلمية الحديثة في الغرب على أن الغاية منه تختلف في الإسلام عنها في الحضارة الغربية، فهي في الإسلام ترمي إلى أن يجعل الإنسان من سنة الله في الكون سنته ونظامه، على حين ترمي في الغرب إلى الاستفادة المادية مما في الكون»[(١)].

وكما أن سنن الله تعالى في الكون تحقق له الانتظام، فإن تطبيق شريعة الله ﷻ في المجتمع تحقق له الاطمئنان والحياة الطيبة.

ولعلنا بذلك نقنع المثقفين من بني جلدتنا أنه قد حان الأوان للعودة لاجتياز طريق الإسلام كدين وحضارة، إذ لا مفرّ منه لإنقاذ

---

(١) د/ محمد حسين هيكل «حياة محمد ﷺ» (ص:٥٢٤) - مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م.
ويرى الدكتور هيكل أن الحضارة الإسلامية سعت إلى تحقيق الكمال الروحي -أي الدعوة إلى الإيمان- للجماعة الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها، وبالنظرة المقارنة، فإن من خصائص الغرب تضخم النزعات الفردية وغلبة الأنانية «فالآخرون هم الجحيم».
د/ عبد الوهاب جعفر «قضايا الفكر الفلسفي المعاصر» (ص:١٣٢) دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

أمتنا من الاستمرار في التردّي إلى مهاوي الانحطاط بدليل أن تقليد الغرب سبب لنا الإحباط والتمزق.

يقول الدكتور مراد هوفمان -المهتدي للإسلام-: «أدّى الاستعمار لاعتناق الصفوة العرب حضارة الغرب، ولكن كانت النتيجة: عادة ما تأخر المسلمون خلف زملائهم الغربيين، ولكنهم في الوقت نفسه فقدوا أسس حضارتهم الخاصة، ليكونوا مستهلكين للحضارة الغربية التي لا يستطيعون إتقانها، فأصبحوا في النهاية محبطين وممزّقين بين حضارتين»[1].

وبحكم موقعه السياسي الذي كان يحتله قبل إسلامه فقد لاحظ كيف ظهرت الاتجاهات الإسلامية في بداية السبعينيات وبدأت مراكز الدراسات الغربية في تحليلها بلا هوادة، حيث وُصفت بالأصولية والتعصب السلفي، وتصور البعض -وآمل- أن تلك الاتجاهات الإسلامية ما هي إلا حركة احتجاج جماعية، دالة

---

(١) د/ مراد هوفمان «الإسلام كبديل» (ص:٥١، ٥٢) تعريب عادل المعلم.

على التخلّف التكنولوجي، ولكنه علقّ على ذلك بقوله: «ثبت بوضوح أن ذلك التحليل كان ينقصه العامل الديني وفهم شعوب تأخذ دينها مأخذ الجدّ، حتى لو كانت من شعوب العالم الثالث»[١].

وقد أصاب هوفمان في حكمه، «فإن الصحوة الإسلامية القائمة اليوم في كل مكان من العالم الإسلامي، حدث تاريخي له دلالته... فهي تجيء -من جهة- بعد الجهد الجاهد الذي بذلته الصليبية الصهيونية على مدى ما يقرب من قرنين من الزمان لزحزحة الأمة الإسلامية عن إسلامها وسلخها منه... وتجيء من جهة أخرى والبشرية في أحد منعطفاتها التاريخية، وقد بدأت تيأس من حضارتها المادية الجافة، وبدأت تتطلع إلى مخلّص جديد، ول يُخرج المسلمين من أزمتهم، ويرفع عنهم إصرهم والأغلال التي صارت عليهم، ويرّدهم إلى عزتهم، إلا العودة الصحيحة الصادقة إلى الدين الذي أنعم الله به عليهم وحباهم إياه»[٢].

---

(١) نفسه (ص:٢٢).

(٢) محمد قطب «واقعنا المعاصر» (ص:١٣) دار الشروق بمصر ط. ٣- ٢٠٠٨م.

هذا، وقد احتوى الكتاب على بابين، وهما:

الباب الأول:

«خصائص الحضارة الغربية – حضارة العصر السائدة»

ويتضمن الفصول الآتية:

الفصل الأول: العولمة.

الفصل الثاني: عداؤها للإسلام والمسلمين.

«حملات تشويه الإسلام واستهداف القضاء عليه»

الفصل الثالث: إحدى جرائم العصر

سرقة أمة وتشريد شعب «نكبة فلسطين»

الفصل الرابع: تمزق إنسان العصر بين رحى مذاهبه الفلسفية

الفصل الخامس: تنبؤات المستقبل...

هل قاربت حضارة العصر منحنى التدهور؟

الباب الثاني:

«بعض قضايا الفكر الإسلامي في العصر الحديث»

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول: مناقشة فكرة تطور الإسلام ليتلاءم مع العـصر أو «الإسلام العصري»

الفصل الثاني: ازدهار حركة الصحوة الإسلامية

الفصل الثالث: المنهج السلفي والعصر

الفصل الرابع: أين موقع حضارتنا من العصر؟

الفصل الخامس: تحصين الهوية الإسلامية إزاء حملات التغريب وأزمات العصر.

وأسأل الله تعالى أن يجزي عني خير الجزاء كل من ساهم في إصدار هذا الكتاب، وأن يكتب جهودنا جميعًا في صحيفة حسناتنا.

ومن عند الله تعالى أستمد التوفيق، وهو حسبي.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

وآخر دعوانا... أن الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصطفى حلمي

الإسكندرية في ٢٧ المحرم ١٤٣١هـ

١٣/ ١/ ٢٠١٠م

الباب الأول

خصائص الحضارة الغربية

حضارة العصر السائدة

الفصل الأول

العـولمــة

يقول جوزيف ستجليتز: «لقد أصبح واضحًا بشكل متزايد أن العولمة، كما طبقت لم تفِ بما تعهد مؤيدوها بتحقيقه، أو بما يمكنها ويجب عليها تحقيقه. لم يتضح ذلك للمواطن العادي فقط، إنما لواضعي السياسات أيضًا، وليس لواضعي السياسات في البلدان النـاميـة فقط، لكن في البـلدان المتقدمة أيضـًا، في بعض الحـالات، لم ينجم عن العولمة نمو، لكن حتى في الحـالات التي تحقق فيهـا نمو لم تصل المكاسب للجميع، وفي الأغلبية الساحقة من الحالات، كان التأثير النهائي للسياسات التي وضعها «إجماع واشنطن» لمنفعة القلة على حساب الكثرة، ولصالح الأثرياء على حساب الفقراء، وفي العديد من الحالات، حلت المصالح والقيم التجارية محل الاهتمام بالبيئة والديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية...

وفي أغلب بلدان العالم . . بدت أقرب لكارثة تامة»[١].

ومن الآثار المدمرة للعولمة، أن ذهبت فوائد وأرباح «الكلونيالية إلى أوربا والولايات المتحدة، واكتسبت الاقتصاديات الصناعية ميزة عظيمة في علاقتها مع منتجي المواد الخام في العالم، إذ تركت دورة التبعية عالم الثلثين يعاني الفقر فيما تهرول الدول مُفرطة النمو قُدمًا نحو القمر»[٢].

أي نهب الدول الكبرى لثروات الدول الفقيرة، وتزداد الهوة الاقتصادية اتساعًا، ثم تتخطاها إلى مرحلة تحطيم كيان المجتمعات.

---

(١) جوزيف ستجليتز «ضحايا العولمة» (ص:٤١) ترجمة لبني الديدي - تقديم: دكتور جلال أمين - مكتبة الأسرة سنة٢٠٠٧م.
ومؤلف الكتاب اقتصادي أمريكي شهير، حصل على جائزة نوبل في الاقتصاد سنة ٢٠٠١م.
ويري -كما يذكر الدكتور جلال أمين- إن الضحية الأساسية لهذه الكوارث هم فقراء العالم الثالث (ص:١١).

(٢) فيجاي براشاد «القطط السمان والكلاب اللاهثة - حكومة العالم السرية - خطوات الاستيلاء على ثروات الأرض» (ص:١١٢) ترجمة د/ فاطمة نصر طبعة سطور الأولى ٢٠٠٣م.

يقول عالم الاقتصاد «كارل يولياني»: «لا يمكن أن تتواجد رأسمالية السوق الحرة لأي مدي زمني دون القضاء على قوام المجتمع البشري والطبيعي، ولو تمكنت، لدمرّت الإنسان فيزيائيًا وحوّلت بيئته إلى أرض يباس»[١].

ويخص المؤلف بالدراسة شركة «إنرون» التي احتلت المرتبة الثامنة عشرة بين أكبر الشركات بإيرادات تزيد عن الأربعين بليون دولار[٢]، ثم أفلست بمغامرة لعبها تنفيذيو القمة لخطف الأموال بأسلوب منحرف[٣]، ويتخذ من هذه الشركة نموذجًا للشركات النهمة المفترسة التي حولت في العقود الثلاثة الأخيرة ليبرالية العالم المُفرط النمو - الديمقراطية إلى سلعة، وممثلي الشعب إلى موظفين لديها[٤]، ثم يدلل على الظلم الواقع على العاملين بقوله: «رهيب هو ذلك الحطام الذي خلفه

(١) نفسه (ص:٢١٩)، ويشير إلى التكالب على أراضي النفط، واختار العنوان التالي للبحث: «تشحيم الرأسمالية: المخدرات - النفط - الدمار».

(٢) نفسه (ص:٢٧).

(٣) نفسه (ص:٣٤).

(٤) نفسه (ص:١٦).

تهاون «إنرون» في عام ١٩٩٧ أخبر جِّفري سكيلنج، مدير «إنرون» التنفيذي رفيع المستوى، قاعة مليئة بالمدراء التنفيذيين في أحد المؤتمرات: عليكم تخفيض النفقات، وبلا هوادة، بما يتراوح بين ٥٠٪ ٦٠٪ . افصلوا الناس، تخلصوا منهم إنهم يزحمون المصانع»[١].

ويصوّر العلاقة الوثيقة بين الشركات ورجال السياسة حيث يذكر أسماءهم والأموال التي دُفعت لهم في سياسة الانتخابات.

ونقتطف مثالًا واحدًا بقوله: «أسهمت «إنرون» بـ٧٦٥٠٠٠ دولار للحزب الجمهوري بفلوريدا لحساب انتخابات جيب بوش، مع ٢٠٠٠٠٠ دولار إضافية لحملته الانتخابية مباشرة... ذلك المبالغ دفعت ببوش إلى مركز الحاكم»[٢].

---

(١) نفسه (ص:١٨٩).

(٢) نفسه (ص:٩٠).

ومما يلفت الانتباه العنوان المثير لمضمون الكتاب الذي يسجل فيه المؤلف السطوة الكوكبية لشركات الولايات المتحدة الكبرى التي أسماها «القطط السمان»، أما «الكلاب اللاهثة» فجعلها وصفًا لمؤيدي تلك الشركات في العالم الثالث الذين يساعدونها على الاستغلال ويحصلون على ما قيمته ١٠٪ من التعاملات يحتفظون بها في السراديب الخاصة بأماكن المضاربات الحرة العظيمة مثل سويسرا وجزيرة كايمان.

ونقتبس مقتطفات من الكتاب التي يسميها المؤلف «ممارسات شريرة» فيقول: «لنتتبع تسلسل المنطق هذا للخطة لنرى مدى عمق تورط الولايات المتحدة في فساد العالم: يمول دافعوا الضرائب الأمريكيون الجيش، يُفوّض البنتاجون مقاولين لبيع أسلحة للعراق في الثمانينيات. توحي سفيرة بوش بمساندة من البنتاجون إلى صدام أن لديه ضوءًا أخضر لغزو الكويت. يهاجم بوش العراق، وتتواجد حالة حرب مستمرة. يمول دافع الضرائب المسكين، مرة أخرى، حرب الخليج ونشر القوات الهائل الذي ما فتئ يخلق اختناقًا في الجزيرة العربية ومحيطها. تستجيب الكويت لهذا بأن تمنح جائزة الطاقة، ليس لدافع الضرائب الأمريكي، بل للشركات الخاصة عبر القومية...

يتحمل دافعوا الضرائب نفقات الحرب، وتجني الشركات الخاصة الأرباح (ص:٨٧).

الفصل الثاني

عداؤها للإسلام والمسلمين

حملات تشويه الإسلام واستهداف القضاء عليه

إن ظاهرة العداء للإسلام في العصر الحديث من خارج عالمه لا تخفي على أحد، وهو الدين الوحيد دون غيره، من الأديان الموضوع في قفص الاتهام، الموصوف بأسوأ الصفات من أناس أعماهم الحقد، ووضعوا على أعينهم غشاوة فأعمت أبصارهم.

وتجري عمليه تشويه الإسلام على قدم وساق في أجهزة الإعلام في الغرب استمرارا للعداء المتوارث منذ الحروب الصليبية. تقول كارين أرمسترونج: «وفي يومنا هذا تلهو الكتب وبرامج التليفزيون بإبراز عناوين مثل «حنق الإسلام» و«سيف الإسلام» و«الحنق المقدس» و «الرعب المقدس» لكن هذا تشويه للحقيقة»[1].

---

(١) «محمد ﷺ» (ص:٢٤٧). ترجمة د/ فاطمة نصر ود/ محمد عناني ط. سطور ١٩٩٩م.

ويأتي هذا التعليق في موضعه تمامًا بعد إبداء دهشتها من تلقيب الإسلام في الغرب بدين السيف منذ العصور الوسطي «رغم أن المسيحيين كانوا يشنون حروبهم المقدسة الخاصة في الشرق الأوسط في ذلك الوقت»[1].

وقد وقف المدافعون عن الإسلام للإزالة الشبهات ورد كيد الكائدين إلى نحورهم:

فمنهم الأستاذ العقاد الذي كتب منذ الستينات في القرن الماضي مبديًا استياءه من تحامل كتاب الغرب ـ المستشرقين وغيرهم ـ على الإسلام، وكأن «علم مقارنة الأديان» أصبح عندهم هو إفراز لنفوس حاقدة عجزت عن اتخاذ الموضوعية منهجًا للبحث والدراسة.

وللإنصاف يصف بعض الباحثين في الغرب من طلاب العقيدة الذين داخلهم الشك في عقائدهم التي ولدوا عليها وغلب عليهم الإيمان بأن الشرق هو مصدر الأديان. ومنهم من وقعت الجفوة بينه

---

(١) نفسه.

وبين رؤساء دينه فاصطنعت أقواله عن الإسلام وتاريخ الإمم الإسلامية بحماسة تشبه حماسة المؤمن بدينه وأن لم يبلغ به الأمر مبلغ التدين بالعقائد الإسلامية[١].

وفيما عداهم، يندر الإخلاص في مؤلفات القوم، فمنهم «سماسرة التبشير» الذين يتخذون تشويه الإسلام صناعة يستدرون بها الرزق ويتوسلون بها إلى جاه الرئاسة وسمعة الصلاح والتقوى بين المتعصبين والجهلاء في البلاد الأوروبية والأمريكية[٢].

ومنهم المحترفون المهرة في فنون الدعاية وتمويه الواقع وتلبيس الحق بالباطل «ولا نبالغ في التقدير إذ قلنا إن تسعه أعشار المبشرين المحترفين في العصر الحاضر من هذا القبيل»[٣]. معللًا ذلك بقول الدكتور جونسون: «إنه الديانة الوحيدة التي تعد على الدوام «تحديًا» أو مناجزة لجهود التبشير والمبشرين» وتتخطي رؤية العقاد

---

(١) العقاد «ما يقال عن الإسلام» (ص:٨، ٩، ١٢، ٥٢) ط. دار الهلال ١٩٧٠م.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

عصره عندما يتنبأ منذ أربعين سنة بما نعاني منه الآن بوصف الإسلام بالخطر عليهم، معللًا ذلك بدعاية كل من الطائفتين: طائفة الصهيونية وطائفة الاستعمار[1].

ويسجل طابع التفرقة العنصرية لحضارة أوربا بقوله: «فقد لوحظ أن مستشفيات الصليب الأحمر كانت تهمل الجرحى المسلمين أثناء حملة فلسطين وتميز عليهم جرحي اليهود ـ ويحدث هذا في المستشفي الواحد بغير مبالاة ولا محاولة للاعتذار عن هذا التمييز»[2].

ثم جاء الدكتور عبد الرحمن بدوي في عام ١٩٩٣ ليسجل نفس الظاهرة التي لوحظ أنها استفحلت واتسع نطاقها فلم يفلت القرآن والرسول ﷺ والشريعة والتاريخ والحضارة، من الهجوم العدائي السافر المتبجح.

لقد استقرأ الدكتور عبد الرحمن بدوي من مؤلفات كتاب الغرب مواقفهم المعادية للإسلام وفق منهج وثائقي موضوعي،

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه (ص:٦٤).

وكان هدفه «كشف القناع عن العلماء المزعومين الذين قدموا الضلال والخداع لشعب أوربا وغيره من الشعوب الأخرى»[(١)].

ويقول في كتابه «دفاع عن محمد ﷺ ضد منتقصي قدره»: «في الواقع أن دعوي الموضوعية عندهم تبدو في أبهي صورها جزئية ومنهجهم الذي يسمونه نقديًا وعلميًا يتكشف عن سراب خادع»، وقد أصدر هذا الحكم بعد اطلاعه على الأعمال التي كتبت لأهداف دفاعيه خاصة بإثبات عقائد النصارى، أو أعمال من سماهن بالموتورين...

ويقول في كتابه «دفاع عن القرآن ضد منتقديه»: «فإنه بداية من منتصف القرن التاسع عشر يبذل هؤلاء المستشرقون كل ما في وسعهم ليبدوا موضوعيين في كتاباتهم وفي جعل كتاباتهم أكثر دلالة وأكثر جديه وموضوعيه، وأكثر تدقيقًا في المنهج اللغوي، لكن دون فائدة، ذلك لأن الدوافع الداخلية التي تضطرم بالحقد في قلوبهم ضد الإسلام وكتاب الإسلام المقدس ونبي الإسلام ﷺ ظلت كما هي بل زادت تأججًا».

---

(١) «الدفاع عن القرآن ضد منتقديه» (ص:٨).

ويأتي تسجيل هذا الواقع المؤسف جدًا أيضًا من عالمة مقارنة الأديان أرمسترونج فتصف أفكار الغربيين بأنها كانت، وما زالت، فجة ورافضة، وتبدي دهشتها من تناقضهم بين الالتزام المعلن بالتسامح والتراحم وبين الواقع، وتعلل ذلك بضعف أساسي للحضارة الغربية وللمسيحية في العالم الحديث يتمثل في «عدم القدرة على الاعتراف بأنهم يقتسمون الكوكب، ليس مع من هم أدنى منهم، بل مع أنداد لهم»[(١)].

ولكن رب ضارة نافعة إذ يري الدكتور جمال حمدان أن حملات التشويه والإساءة للإسلام دال على الاعتراف بأن العالم الإسلامي «ليس جثة هامدة أو كما مهملًا»[(٢)] آملًا ارتفاعه إلى مستوي التحدي

---

(١) كارين أرمسترونج «محمد ﷺ» (ص:٣٩٣).

(٢) د/ جمال حمدان: «صفحات من أوراقه الخاصة» (ص:١١٦) ط. دار الغد العربي ١٩٩٦م إعداد وتقديم د/ عبد الحميد صالح حمدان. ويقول (ص:١٣٩): «كان الغرب يتحدث عن الخطر الأحمر -أي: الشيوعية- فابتكر الآن تعبير «الخطر الأخضر» إشارة إلى خطر الإسلام، ويتوقع د/ مصطفى محمود أن السنين القادمة هي ملحمة الإسلام في ظهوره الثاني، وما نرى الآن من أحداث هي بشائر ولوائح وعلامات «سقوط اليسار» (ص:١٠٨) دار المعارف سنة ١٩٩١م.

واستثارته ليثبت ذاته ونديته «ويفرض احترامه والاحترام المتبادل والمساواة المتبادلة ليبدأ سلام الشجعان وصلح الفرسان، وربما تكون هذه العداوة هي مفجر الفرصة والنجاح».

وكان محمد أسد قد حذّرنا مبكرًا من الأهداف الحقيقة للحضارة الغربية التي تبغي القضاء على الإسلام، وها هو «شاتو بريان» أشهر أدباء العصر التاسع عشر «يضع نفسه في دور المجاهد ويستعمل كل أسلحته في الحرب التي يخوضها من أجل مجد المسيح عليه السلام... ويؤكد آراءه المسبقة مما يدل على إرادة مصرّة على تدمير الشرق، إرادة هدفها الإسلام»(١).

وهذا يدفعنا إلي تصحيح الصورة الزائفة للحملة الفرنسية على مصر، التي تأخذ شكل الرغبة في الأخذ بيد الشرق ليسير في طريق حضارة الغرب، بينما يتضح من الدراسة العلمية الأمنية، أن الحملة الفرنسية تعبر عن النموذج الصارخ في الرغبة في نهب الشعوب وإخضاعها للغرب حيث صرح نابليون بأن الهدف الرئيسي من الحملة على مصر كان

---

(١) د/ ليلى عنان «الحملة الفرنسية تنوير أم تزوير» (ص:١٧٢) كتاب دار الهلال.

زعزعة القوة الإنجليزية في أركان العالم الأربعة من أجل ثورة تغير وجه الشرق كله وتعطي للهند مصيرًا آخر...

إن مصر كان عليها أن تقوم بدور سان ـ دومنج ومستعمراتنا الأمريكية، وتجمع بين حرية السود ورخاء تجارتنا . . كانت هذه المستعمرة الجديدة ستهدم الإنجليز من أمريكا، والبحر المتوسط وحتى ضفاف نهر الكانج».

هذه هي الحقيقة دوافع الحملة الفرنسية على مصر وقد علقت الدكتورة ليلي عثمان على قول نابليون بقولها: «ولا نري في هذا الكلام الصريح أية إشارة إلى المشروع الحضاري الذي طالما سمعنا أنه الهدف الرئيسي من وجود الجيش الفرنسي في مصر»!!![1].

وكانت الحملة في حقيقتها ملطخة الأيدي بدماء شعب مصر، فقد ذكر أحد مؤرخيها: «كما كان يحدث أيام الحملة الصليبية ولا ينكر الفظائع التي ارتكبها الجيش الفرنسي،... إذ ذهب رجال ونساء وشيوخ وحتى أطفال إلى أحد المساجد حيث ذبحهم جنودنا لأنهم كانوا في حالة

---

(١) د/ ليلى عثمان «الحملة الفرنسية، تنوير ام تزوير» (ص: ١٩٤، ١٩٥).

من العنف الجنوني الذي عادة ما ينتاب الجند عند الهجوم»[١].

وخلافًا للأعراف الدولية في معاملة الأسرى فقد كانت الحملة تقوم بإعدامهم بناءً على أمر نابليون، إذ عندما استسلم له الأسرى العثمانيون أمر بإعدامهم على الفور وكان عنده منهم آلاف كثيرة»[٢].

وتكررت الجريمة بالنسبة للأسرى الذين استسلموا للجيش الفرنسي في «يافا» الذي أمر نابليون بإعدامهم فكانت جريمة فظيعة «وأثارت هذه المجزرة استياء أكثر الرجال قسوة في الجيش إلى حد الغثيان»[٣].

وكانت الرغبة في الثأر من هزائم أوروبا خلال الحروب الصليبية تراود ساستها وقوّادها حتى العصر الحديث، وها هو «شاتوبريان» من العائلات التي يرجع تاريخها إلى القرون الوسطى كان يفخر كثيرًا ويعيد مرارًا أنه سليل البارون «دي شاتوبريان» الذي ذهب

---

(١) نفسه (ص:٢٤٨، ٢٤٩).
(٢) نفسه (ص:٢٥٣).
(٣) نفسه (ص:٢٧٩).

مع القديس لويس إلي الأرض المقدسة وسجن معه في معركة المنصورة... واعتبر إن من واجبة الديني كمسيحي مؤمن، أن يخوض بدوره معركة المسيحية بصفته صليبيًّا من العصر الحديث ليثبت أنه جدير بسلالة الصليبين التي ينحدر منها»[١].

ويتضح من ذلك أيضًا أن النصرانية ظلت من المكونات الأساسية في الثقافة الغربية، ولم يحارب الدين إلا خلال فترة الثورة الفرنسية فقط، وكان وضعًا استثنائيًا في تاريخ أوروبا، إذ جاء نابليون ليعيد للكنيسة دورها ونفوذها.

تقول الدكتورة ليلي عثمان: «أعاد نابليون للكاثوليكية هيبتها، بل أعاد وجودها نفسه، وكانت حكومات الثورة قد محتها من خريطة فرنسا»[٢].

ولم يعش محمد أسد ليعاصر الأحوال إلى الأسوأ، إذ دخلت الولايات المتحدة في حلبة الصراع لتلقي بثقلها كله في معركة العداء للإسلام والمسلمين بتأييدها لإسرائيل تحت شعار مزاعم توراتية

---

(١) نفسه (ص:١٦٣).

(٢) نفسه (ص:٢٠٦).

محرفة، فقد ازداد نفوذ الصهيونيين المسيحيين في الإدارات الأمريكية وأصدروا البينات وفحواها «إن الوقت قد حان لأن يؤكدوا إيمانهم بالنبوءة التوراتية والحق الإلهي لإسرائيل في الأرض...».

وصرح الرئيس الأسبق ريجان بأنه يتنبأ بأن المعركة الفاصلة المسماة هرمجدون سيشهدها جيله وازداد نفوذ اليمين المسيحي في عهد «بوش»[(١)].

ولم يقتصر الحماس الديني لتأيد إسرائيل على الحزب الجمهوري فقط بل لبس الحزب الديمقراطي أيضًا الثوب الديني، وسعي الحزب إلى حصن أكبر عدد من الناخبين المتدينين أو ذوي الاهتمامات الدينية والأخلاقية في المقام الأول.. وصار الدين عنصرًا أساسيًا في السياسة الانتخابية للرئاسة الأمريكية»[(٢)].

---

(١) د/ رائد العزاوي «أمريكا والإسلام والأرهاب» (ص:٣٤) - مكتبة مدبولي ٢٠٠٩م.

(٢) نفسه (ص:٢٤).

ومما يعزز الاستنتاج بأن هناك يقظة دينية في الغرب -لاسيما في أمريكا- ما ورد بتقرير جون جرين أستاذ العلوم السياسية بجامعة «أكرون» يقول فيه: «معظم الأمريكيين ينظرون إلى الدين باعتباره ركن أساسي في حياتهم» (ص:٢٥) نفس المصدر.

كذلك تبنت أمريكا سياسة محاربة الإرهاب عقب الحـادي عـشر من سبتمبر ٢٠٠١م وهي تعني الإسلام، وشـنت حـربين إحـداهما على العراق والثانية على أفغانستان، بينما تؤكد الكثير من الدراسـات حول أحداث سبتمبر إن الرواية الرسمية محفوفة بالأكاذيب[١].

وتتعدد صور العداء للإسلام فتشمل مهاجمته وتـشويه صـورته، وتشجيع واحتضان كل من يفعل ذلك من المنتسبين للإسلام فـضلًا عن ظلم الأقليات المسلمة في بلاد العالم.

---

(١) وقد توالى ظهور كثير من المؤلفات والبحوث تطعن في الرواية الرسمية وكلها تستند إلى أدلة وبراهين بحيث تجعل القارئ أكثر اقتناعًا بافتعال الأكاذيب لتبرير الحروب وتضييق الخناق على المسلمين بالقبض عليهم ومصادرة أموالهم.
يقول الدكتور جلال أمين: «وبينما يشكك كتاب فرنسيون وألمان في القصة كلها، وقال بعض القانونيين الإنجليز أن ما يُقدم من أدلة ضد هؤلاء السعوديين والمصريين التسعة عشر، هي من الضعف بحيث لا تكفي حتى لتقديمهم للمحاكمة، ناهيك عن إدانتهم... ويرى هو شخصيًا أن جزءًا كبيرًا مما تقوله وسائل الإعلام يتعارض تعارضًا صارخًا مع المنطق السليم. د/ جلال أمين «عصر التشهير بالعرب والمسلمين» (ص:٧٥-٧٧) - دار الشروق ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
وينظر البحث بعنوان «أحداث سبتمبر» ما هي الحقيقة ؟ بكتابنا «خواطر حول كتاب الإسلام بين الشرق والغرب» لعلي بيجوفيتش - ط. دار الخلفاء الراشدين ودار الفتح بالإسكندرية.

وفي كلمة جامعة لأستاذنا الدكتور محمد على أبو ريان -رحمه الله تعالى- يقول: «إن إهمال أمر الأقليات الإسلامية العرقية سواء في أوربا أو أفريقيا -ونضيف أمريكا- أمر يندي له جبين المسلمين ويتطلب إتحاد كلمتهم للدفاع عن حقوقهم، وكذلك ينبغي أن نقف موقف الدفاع والأهبه لنصرة فلسطين ضد الصهيونية وغدرها القاتل وتشريد الآلاف العرب المسلمين على مرأى ومسمع منا، وناهيك عما تفعله الدول الكبرى المسيحية من تشويه لمعالم الإسلام وتوسيع نطاق التبشير في البلاد الإسلامية، وقد سجل القرن العشرون لهؤلاء أعنف موقف حينما اجتمعت دول السوق الأوربية، وطالبت باجتماع مجلس الأمن للانتصار لقضية رجل هاجم نبي الإسلام ﷺ ومقدسات الإسلام، وهذه واقعة لم يحدث لها مثيل حتى في القرون الوسطي المسيحية...»[1].

أما الاضطهاد والظلم الواقعيْن على المسلمين في الصين فإنه

(١) د/ محمد علي أبو ريان «أسلمة المعرفة - العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية» (ص:٣٧٦) - دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٩٧م.

يشهد على إهمال العالم الإسلامي لإخوانه في الدين، وقد تعرّض الإسلام هناك لهجمات شرسة أثناء الثورة الثقافية (١٩٦٧-١٩٧٧)[١]، وما زالت مستمرة بصورة أو بأخرى حتى أيامنا هذه.

وبالرغم من أن الإسلام دخل الصين قبل أكثر من ١٣٠٠ سنة خلت فإن أفضل ما يوصف به المسلمون هناك أنهم في دائرة النسيان، أو (مسلمو الصين ليسوا في هذه) الدنيا وأن المسلمين الصينيين القوة المنسية والمهمشة على حافة المحيط الهادي، وإن (الملف الموجود المفقود للمسلمين الصينيين وسط أغرب محيط بشري عرفة التاريخ»[٢].

فهل نجد آذانًا صاغية من رؤساء وحكومات العالم الإسلامي لإنقاذ إخوانهم من الذوبان؟

---

(١) د/ نوال مصطفى مقدمة كتاب «المسلمون في الصين» للدكتور عبد العزيز حمدي - كتاب اليوم - أكتوبر ٢٠٠٥م.

(٢) مقدمة المؤلف.

الفصل الثالث

إحدى جرائم العصر

سرقة أمة وتشريد شعب

« نكبة فلسطين »[1]

---

(١) ينظر كتابنا «نكبة فلسطين من منظور فقه التاريخ» دار الخلفاء الراشدين بالإسكندرية.

قرأنا في كتب التاريخ عن غزوات وحروب بسبب مطامع وشهوات دنيوية لنهب الأراضي والثروات، وبدوافع سيطرة الدول القوية على غيرها من الدول الضعيفة، أو حروب بسبب خلافات بين العقائد أو الأجناس أو القوميات. وقامت حروب في العصر الحديث بسبب الغرور أو الأمراض النفسية للطغاة والجبابرة أمثال هتلر وموسليني وستالين وغيرهم.

ولكن هذه الحروب والغزوات خضعت كلها إلى سنة من سنن الله عز وجل وإنه لا دوام لحياة الأمم الظالمة، قد تنتصر وتعلو ولكن لابد من انهزامها مهما طال الزمن.

وقد حرصت بهذا التمهيد لكي أجعل القارئ يشاركني الدهشة الجادة بل المؤلمة إذا قارنا تلك الحروب والغزوات بحرب فلسطين سنة ١٩٤٨، لأن وجه الغرابة تتضح بالمقارنة بينها وبين غيرها من الحروب إذ لم نسمع ولم نقرأ قط عن شرذمة من البشر تخطط السنوات الطوال لسرقة أرض بغرض الإقامة الدائمة بها وتعاونها على ذلك دول كبري تزعم أنها متحضرة وتنشر السلام في العالم!

لقد اغتصب اليهود أرض فلسطين «بوجدان ديني أسطوري

معبًا... وهي أن فلسطين ليست مجرد قطعة أرض، وليست مجرد منطقة للتوسّع، وإنما فلسطين ترمز إلى وجدان ديني راسخ لدى من أطلقوا على أنفسهم «المطالبون بالعودة»![١].

ومسئولية الغرب عن هذه الجريمة النكراء مسئولية كاملة؛ فإن انجلترا بشكل خاص، والدول الغربية بشكل عام لها دور أساسي في مساعدة الصهاينة... وكان التعاون معهم قائمًا بلا حدود منذ المؤتمر الصهيوني الأول في بازل سنة ١٨٩٧م[٢].

ثم جاءت أمريكا فجسّدت انحياز الغرب الكامل لإسرائيل (بحجم المساعدات العسكرية والفنية والمالية . . ناهيك عن الدعم السياسي في المحافل الدولية ومجلس الأمن وعلى مستوي أحداث المنطقة والذي يزداد رسوخًا وتطابقًا يومًا بعد يوم بدءًا من الرئيس ايزنهاور وانتهاء بالرئيس بوش (والحالي أيضًا)[٣].

---

(١) خميس البكري «د/ رشدي فكار» حوار متواصل مع مشاكل العصر (ص:١٣١) - مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٢) د/ غازي توبة «لماذا سقطت الخلافة العثمانية؟» (ص:١٤٣) - المكتب الإسلامي - بيروت - عمان - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٣) نفسه (ص:١٤٣).

الفصل الرابع

تمزق إنسان العصر بين رحى مذاهبه الفلسفية

في القرن العشرين حدث انقسام فلسفي حاد، ففي مقدمة كتاب «حكمة الغرب: الفلسفة الحديثة والمعاصرة» للفيلسوف البريطاني برتراند راسل، يقول الدكتور فؤاد زكريا -وهو مترجم الكتاب-: «ولعل أبلغ تعبير عن ذلك هو إشارته العميقة في الصفحات الأخيرة من كتابة إلى **حقيقة الانقسام الحاد الذي يسود الفكر الأوروبي**، بين فكر يسيطر على معظم أرجاء القارة من الداخل، وتسوده فلسفات ترتبط بشكل أو بآخر بالتراث المثالي أو الوجودي أو غيرهما من الاتجاهات المستمرة في تاريخ الفلسفة، وفكر يسود في البلاد الأنجلوسكسونية ويرتكز أساسًا على **التحليل اللغوي**، ويمتنع عن إصدار الأحكام الفلسفية العامة مادامت لا تصمد أمام هذا التحليل، مما جعل راسل يعلق على هذا الانفصال بقوله:

«وصل إلى حد أن كل طرف لم يعتقد أن ما يقوم به الطرف الآخر يستحق اسم الفلسفة... هذا الوضع الجديد لم تعرفه الفلسفة إلا في القرن العشرين، فلم تعد المسألة خلافًا بين مدارس فلسفية فقط، بل إن الظاهرة الجديدة هي عدم الاعتراف المتبادل بين الطرفين... هكذا تنعدم جسور التفاهم بين الطرفين، ويسير كل منهما في طريقه غير معترف بالآخر...»[(١)].

وفي النهاية، يتساءل الدكتور فؤاد زكريا: «فهل جاء هذا الانقسام الفلسفي تعبيرًا عن تمزق الإنسان المعاصر؟ وهل يجوز لنا أن نُدين الفلسفة لأنها عجزت عن تحقق التفاهم بين العقول، على الرغم من ادعائها الدائم بأنها وحدها التي تخاطب عقل الإنسان -أي إنسان- بموضوعية وتنزّه؟ هل هذا أقوي مظاهر الإخفاق في الفلسفة، أم هو أعظم مظاهر نجاحها، حين تجد نفسها قادرة على التعبير بوضوح عن ذلك «الانقطاع» و«اللاتفاهم» الذي يميز حياتنا المعاصرة»[(٢)].

---

(١) د/ فؤاد زكريا مقدمة كتاب «برتراند راسل «،حكمة الغرب... الفلسفة الحديثة والمعاصرة» (ص:١٦) - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - يوليو ٢٠٠٩م.
(٢) نفسه (ص:١٨).

ونحن نسلّم بأن ما في الوجود لا يخلو من فائدة أو نفع وإن كثرت عيوبه، ونزن الفلسفة في مجملها كلون من التفكير الإنساني بهذا الميزان، ولا نستطيع التغاضي عن آراء المفتونين بها.

يقول أستاذنا الدكتور محمد ثابت ألفندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومهما قيل من تناقض الفلسفة مع الحياة أو من شك في إمكان الحياة بها ومعها، فإني أقول إنني منذ ارتدت طريق الفلسفة ووعيت رسالة الفلسفة واتخذت منها مهنة لم يخامرني شك في قدرها ونفعها، ورأيت بها ومن خلالها العالم الواقعي الذي كنت أعيشه وقد أُضيء بضوء نفّاذ ووعي جديد وخلق أصيل»[1].

ولكن كم من الأفراد الذين خاضوا نفس التجربة سيتمتعون بهذه البهجة؟ لا شك أنهم قلّة لا تُذكر، فإن صلحت الفلسفة للقلة النادرة، فهي لا تصلح للغالبية الكبرى من البشر، وستظل محصورة في دائرة المشتغلين بها لتعذّر تحويلها إلى ثقافة عامة، وكان العلّامة

---

(١) د/ محمد ثابت ألفندي «مع الفيلسوف» (ص:٨) دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤م.
وهناك مثل فرنسي يقول: «حتى الساعة المعطلّة تدل على الوقت الصحيح مرتين في اليوم والليلة».

ابن خلدون سباقًا لبيان مضار الفلسفة وقد عرضها تحت عنوان «**فصل في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها**» ولكن اشترط للناظر فيها التحصن أولًا بالشرعيات، فقال: «فليكن الناظر فيها متحرزًا جهده من معاطبها، وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه. ولا يُكبّنّ أحد عليها وهو خلوّ من علوم الملّة، فقلّ أن يسلم لذلك من معاطبها. والله الموفق للصواب وللحق والهادي إليه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣]»[١].

وتفرض علينا الدراسة الجادة النظر إلى الفلسفة من زاوية أخرى، ونعني بها مدى قدرتها على تفسير مغزى الحياة الدنيوية ووضع المنهج الصحيح لاجتيازها إلى دار البقاء فنحن «نعيش في هذا العالم واقعين تحت تهديد القلق وخوف المستقبل واليأس والصدفة والضعف والمرض والشيخوخة والموت... ثم تنقضي حياتنا إما عاجلًا أم آجلًا دون أن نطلب انقضاءها ولا نعلم إلى أين وما هو المصير»[٢].

---

(١) د/ محمد ثابت ألفندي «مع الفيلسوف» (ص:٣١).

(٢) «مقدمة ابن خلدون» (٣/ ١٠٨٦) تحقيق د/ وافي - نهضة مصر - يناير ٢٠٠٤م.

ولا أحد ينكر ما في الحياة الدنيوية من آلام ومنغصّات، لم تفلح المذاهب الفلسفية في علاجها قديمًا أو حديثًا.

ولقد رأينا كيف قادنا الفلاسفة إلى متاهات فكرية بسبب الآراء التي ينقض بعضها بعضًا، فهي تنتهي بنا إلى مستنقع الحيرة والقلق، لأنها لا تجب إجابة كافية شافية عن تساؤلاتنا عن الحياة والمصير، وتعجز أن تدلنا على أفضل السبل لاجتياز حياتنا بالمنهج القويم بسبب قصور العقل البشري، وقصر عمر الإنسان الذي يحول بينه وبين خوض التجارب في مجالات الحياة المتشعبة.

ولو رجعنا إلى الدين لاختصرنا طريق الحيرة والاضطراب الفكري الذي اتسمت به مذاهب الفلسفة، إذْ يقودنا الدين -أي الإسلام- إلى برّ اليقين.

تقول السيدة مريم جميل -المهتدية للإسلام وقد خاضت التجربة الإيمانية، فتذّكرنا بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية»... تقول: «وطبقًا لتعاليم الإسلام فليس المقصود من هذه الحياة أن تكون نزهة، بل هي أقسى

امتحان تتحقق نتائجه في الحياة الأخرى، وعلى ذلك فالشدائد والمصائب التي نقاسيها في هذه الحياة ليست نهائية، بل هي اختبارات لأصالة إيمان الفرد وقوته. وذلك كما يقول القرآن الكريم: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥]، وقال الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:٢]، وقال: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران:١٨٦].

ويُنبّئنا القرآن الكريم والحديث الشريف أن ما يعانيه المؤمنون في هذه الدنيا يكفّر عنهم خطاياهم، علهّم ينجون من العذاب بعد الموت ويتمتعون بالجزاء الأوفى في الحياة الأخرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»[1].

والصبر في الضراء برجاحة عقل هو علامة المسلم الصحيح.

---

(١) رواه البخاري.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]، وقال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦].

والخوف والقلق هما ألدّ عدوّين للصحة العقلية، فلا أضرّ للتوازن العقلي للرجل من القلق لما سيحدث في المستقبل، والمسلمون الأقوياء في إيمانهم لا يساورهم القلق لأننا لا نعرف المستقبل، فعلمه عند الله، ولذلك فمن المستحيل أن نحكم عما الذي فيه الخير لنا.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

والخوف على الرزق من أعظم المشاكل الإنسانية انتشارًا، ولكن ما يؤمن به المسلم الصحيح حديث الرسول ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»[1]. وقال ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ آيَةً لَوْ أَخَذَ النَّاسُ بِهَا لَكَفَتْهُمْ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]»[2].

---

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه.

(٢) رواه أحمد، وابن ماجه.

والرعديد لا يؤمن بالله إيمانًا صحيحًا؛ ذلك لأنه يخشى الخلق ولا يخشى الخالق. والمسلم لا يخشى إلا الله، ويثق أنه خير حافظ له، والله دائمًا معنا ويحمينا.

وبما أن أجلنا قد قُدِّر مسبقًا، فلا أحد يستطيع أن يميتنا قبل أجلنا المكتوب، والتصديق بهذا المبدأ يكسب الشجاعة وقوة التفكير...

ومهما حدث من أمر، فإن المسلم يكون إيجابيًّا بنّاءً في عمله، فإن كان خيرًا أفاد من نفعه وإن كانت مصيبة فكرّ في جانب الخير فيها فقط. إذ أن في كل شدة موعظة، فإذا أصيب المسلم برزية مقدرة استقبلها بتسليم تام ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:٥١]، والتشاؤم في الإسلام محرّم، ذلك أنه يخنق الأمل وروح الجهاد والتطلع إلى الموت لوضع حد لمتاعب الإنسان الدنيوية لا يجوز في الإسلام. وذلك أن المسلم قد يفوز بالنجاة، إذا ما عمرّ طويلًا بزيادة فعل الخير فيكفّر عن خطاياه. ولكن الموت ينهي هذه الفرص إلى الأبد»[1].

(١) المهتدية مريم جميلة «الإسلام في النظرية والتطبيق» (ص: ٥٠-٥٥) ترجمة س. حمد - مكتبة الفلاح - الكويت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

فلسفة راسل كأنموذج وآثارها المدّمر على الأخلاق والمجتمعات:

يعيش الإنسان -في رأي راسل- عالمين يختلف الواحد عن الآخر اختلافًا بعيدًا، أولهما: هو عالم الطبيعة. وثانيهما: عالم القيم، يعيش الإنسان في عالم الطبيعة جزءًا منه، فأفكاره العقلية وحركاته البدنية خاضعة لنفس القوانين التي تسير بمقتضاها الذرّات والنجوم، وأما في عالم القيم... فإن الكلمة العليا لأذواقنا وتقديرنا... نحن الذين نخلق قيم الخير وقيم الجمال ونخلعها على الأشياء[(١)].

وإن أصاب راسل في تشخيصه لخضوع الإنسان في حركاته البدنية لعالم الطبيعة فإنه شذّ في افتراضه أننا نخلق القيم.

وواقع حضارة الغرب دليل على انهيار القيم إذا تُركت لمزاج الإنسان وهواه، وإلّا فما هي القيم -أو بمعنى أصح -اللاقيم- التي يقترحها راسل بقوله: «وسيستمد الناس سعادتهم ورضاهم من ضروب اللهو، ومن إباحة الغريزة الجنسية إباحة تتخلص فيها من مغزاها الاجتماعي» ؟![(٢)].

---

(١) د/ ذكي نجيب محمد: «برتراند رسل» (ص:١٢٥) - سلسلة نوابغ الفكر الغربي (٢) - دار المعارف بمصر.

(٢) المصدر السابق (ص:١٢٩).

وإذا كان راسل يدعو إلى إباحة الغريزة الجنسية، فإنه لم يتوقع أن دعوته ستتسبّب في داء «التدهور الخلقي المتسارع» إنه الداء العضال الذي تعاني منه الحضارة الغربية كلها، والذي تعمل على نشره في أنحاء العالم كله بما في ذلك العالم الإسلامي»[١].

ومع سعة انتشار الممارسات الجنسية في الولايات المتحدة ذكرت الدكتورة «مج ميكر» بكتابها «الوباء»: «أن الأمراض المتنقلة من هذه الممارسات تصيب ثمانية آلاف مراهق في كل يوم في أمريكا وحدها، وهي لا تقتصر دراستها على الأمراض الجسدية، بل تتعرض لما تسببه من أمراض نفسية، وتخلُص من دراستها إلى أنه لا وقاية من هذه الأمراض إلا بالكفِّ عن الممارسات الجنسية مع غير الزوجة»[٢].

وقد وافقتها الدكتورة «لورا اشلسنجر» على رأيها وأضافت تقول: «إن أولادنا يسمعون من شخصيات مرجعية مثل الأطباء والمعلمين ورجال الدين أن لهم الحق في تعبيراتهم وتجاربهم الجنسية.

---

(١) د/ جعفر شيخ إدريس «أمريكا المريضة» (ص:٨٠) منشور بكتاب بعنوان «الإسلام لعصرنا – المجموعة الثانية» – سلسلة تصدر عن مجلة «البيان» ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) نفسه (ص:٨٢).

يقال لهم: إن أنواع السلوك هذه مفيدة لهم، وأنها لا تؤذيهم. لكن نفسيًا وروحيًا وطبيًا فإن كل هذه أكاذيب»[١].

وعلّق الأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس على ذلك بقوله: «ويزداد فهمنا لخطر هذه الإباحية حين ندرك أن سنن الله الاجتماعية تربط بين كل أنواع الشرور، فكأنها كلها آخذ بعضها برقاب بعض كلما دُعيت واحدة منها أتت ومعها بعض أخواتها، ولهذا فإن ربّنا يصف عباد الرحمن بأنهم ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:٦٨]»[٢].

وجريمة الزنا التي حرّمها الإسلام وحذّر من مقدماتها بقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ ما هي إلا إهدار الطاقات، وإغلاق البيوت، وتيتيم الأطفال، والأحقاد الاجتماعية، وقلّة النسل ثم توقفه، والجرائم من كل نوع، والحسرات تقطع قلب الطفل وأمه وأبيه والمجتمع، إنها جريمة كبرى، جريمة نفسية واجتماعية واقتصادية...

---

(١) نفسه (ص:٨٢).

(٢) نفسه (ص:٨٣).

وهي جريمة سياسية أيضًا، حين يصل اللقيط المسكين إلى السلطة وهو حاقد على المجتمع الذي أهدر كرامته، فمن أين يأتي هذا الحاقد بالعدل؟! والزواج عكس الزنا راحة في النفس، وأم مكرّمة، وأب عزيز، وطفل هو فلذة الكبد»(١).

ومما يزعجنا بشدة -كما يزعج كل مسلم غيور على دينه وحريص على سلامة مجتمعه من الفوضى- أن العدوى انتقلت إلينا، وإنْ لم نعالجها بحسم وجدّية فستنتشر الفواحش كانتشار النار في الهشيم، وهذا ما تنبهت إليه إحدى الأديبات الفضليات السيدة/ أماني صادق، فكتبت في سطور تبكي على ضياع الشرف والكرامة والحياء لما رأته بأعينها، كتبت تقول:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:٣٣].

غريبة هذه الدنيا ففـي الوقـت الـذي تـدفع في مـروة الـشربيني وغيرها حياتهن دفاعًا عن حجابهن إيمانًا منهم بضرورة حماية لحمهن

---

(١) نفسه (١٢٢).

ومفاتنهن من عيون الغرباء وتنفيذًا لتعاليم ربنا التي شددت على ستر عورات النساء حتى لا تكون في الأرض فتنة حفاظًا على الشرف والكرامة والحياء والدين سواء للرجال أو النساء نرى أخريات يتفنن ويتبارين في العري والانحلال وارتداء الملابس الخليعة التي تظهر أكثر مما تخفي.

ربما يقول البعض ما مناسبة هذه الكلمات؟ المناسبة حاضرة فقد دفعتني حرارة الجو خلال الأيام الماضية للهروب من القاهرة إلى أحد شواطئ العجمي بالإسكندرية في صحبة أولادي الشباب ويا ليتني ما سافرت وظللت في نار القاهرة فهي أرحم من نار جهنم التي رأيتها ورآها معي أولادي على شواطئ الإسكندرية الساخنة جدًّا لا فرق بين الشعبي منها والراقي.

للأسف لقد مات الحياء وصحا مارد الفسق والفجور والانحلال في أقصى صوره حتى ظننت للحظة أنني على شواطئ نيس أو الريڤيرا أو هاواي ففي الماضي القريب كانت هناك شواطئ محددة لهذا العري الساخن ولكن الجديد أنه أصبح مباحًا على طول الشواطئ وعرضها

وأصبحت ممارسة العلاقات الحميمة أمام الناس أمرًا عاديًا في ظل حراسة مشددة لمنع المتطفلين من مضايقتهم وعلى الراغبين في المشاركة دفع رسوم الدخول للشاطئ فقط للاستمتاع بهذا الكم الهائل من المشاهد الطبيعية بدلًا من دخول السينما.

وإذا لم تكن لديك الإمكانية لدخول الشاطئ فستجد هذه المناظر أمامك في الطرقات المؤدية أو الخارجة منه دون ضابط أو رابط والغريب هناك شرطة في كل مكان لا تتدخل وكأن الأمر لا يعنيها؟!»[(١)].

وأمام موجة الانحلال التي تنهش في مجتمعنا تزداد أعباء الأسرة ورجال التربية والتعليم والدعاة والوّعاظ في عالمنا الإسلامي لصدّها والتقليل من مخاطرها الجمّة، ويا ليت انحصر الانحلال في بلد دون آخر، ولكن اتسعت رقعته، وازداد عدد ضحاياه في العالم بسبب جهاز «التليفزيون» الذي لا يسهم في الانحلال فحسب، بل يعمل على تدمير

---

(١) أماني الصادق - مقال بعنوان «على بلاطة» (ص:٨) من جريدة «أخبار اليوم» الصادر في ٢٥ رجب ١٤٣٠هـ - ١٨ يوليو ٢٠٠٩م.

الإنسان ذاتـه كإنسـان أرقى من الحيـوان، قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠]، ويوصف التلفزيون بأنه جهاز خطير سوف يغيّر العالم كله... وسوف يجعل العهر على الشيوع، والانحلال أمرًا عاديًا، واتباع الهوى بداهة، وطلب اللذّة مشروعًا مثل بطاقة سكر التموين»[1].

هذا الجهاز له قدرة تشكيلية على العقول والأذهان، يجعل المشاهد يقع في سجن شهواته بما تثير فيه برامج العري والجنس من رغبات مستعرة تعطلّ عقله.

وقد بلغت سيطرته على العقول والنفوس حدًّا يصعب معه تحويله إلى إعلام تربوي هادف.

ويتساءل الدكتور مصطفى محمود رَحِمَهُ اللَّهُ: «ترى هل هذه المعتقلات الاختيارية الجديدة التي توضع فيها الشعوب العصرية حيث يغسل

---

(١) د/ مصطفى محمود رَحِمَهُ اللَّهُ: «هل هو عصر الجنون؟» (ص:٤٥) كتاب «أخبار اليوم» ٢٠٠٨م.

مخها بالأغاني والرقصات وأفلام العنف ومشاهد الجنس ثم تُعبّأ بالتوجيهات المطلوبة والدعايات المرغوبة؟ هل تستطيع الأجيال الجديدة من ضحايا التلفزيون أن تقلد النوعية القديمة من الشباب الذي حارب وأقام إمبراطورية؟

ويجيب بالنفي؛ لأن الشباب رخو مرفه يعمل بنشاط ليكسب بوفرة وينفق بكثرة، وهذه هي العقلية المادية التي تسود العصر لا تدع اللحظة تفوتك... خذ منها أقصى ما تعطيه من كسب ومتعة ولذة... عن أيامك قبل أن تمضي ولا تعود[١].

وإن المرء منّا ليصاب بالرعب إذا انتقلت إلى بلادنا الإسلامية عدوى ضحايا هذا الجهاز الخطير، فإن علماء النفس في أمريكا يفسروّن ازدياد عمليات القتل والسطو بالاعتياد على رؤية المشاهد بالتلفزيون «فالشباب الأمريكي لا يبلغ الثامنة عشرة إلا ويكون قد شاهد أكثر من عشرة آلاف جريمة قتل واغتصاب وزنى وسرقة تمارس أمامه على الشاشات»[٢].

---

(١) نفسه (ص:٤٤).
(٢) نفسه (٤٧).

وقد يقول قائل، إن هذا الجهاز يعرض بالفعل فنونًا رفيعة وأفكارًا عالية وهو يقدّم الدين والقيم والعظات والعبر إلى جانب الجريمة والجنس والانحلال، ولكن سرعان ما يطغى عليها صور الفساد، لأن الفساد يأتي فيه «مزوّقًا جذّابًا وهو يغازل النفس بمشتهاياتها ويراودها في ضعفها وهو يقدم لها وعدًا عاجلًا فوريًا باللذة بينما يقدّم الواعظ الديني وعدًا مؤجلًا... فما تلبث اللحظة الفاسدة أن تجرف أمامها كل المؤثرات الطيبة»[(١)].

وإزاء مباذل العصر وانحلاله -أصبح واجبًا على الأمة الإسلامية ألّا تنساق وراءه، بل تحافظ على عقائدها وشريعتها وقيمها ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا، وقد حذرها الله ﷻ في كتابه الكريم فقال: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء:١٦].

إن التحذير الإلهي في الآية الكريمة كان له صداه المؤثر في صحابة رسول الله ﷺ، ويكفي أن نسترجع من تاريخنا المشرف،

---

(١) نفسه (٤٨).

تلك الواقعة التي تسجّل أسباب انتصار المسلمين الأوائل أمام جحافل الروم التي تفوقهم في العدد والعُدّة.

فقد كان هرقل ملك الروم مذهولًا بسبب هزيمة الروم، وأخذ يسأل متعجبًا ويلكم، أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا: بلى، قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن، قال: فما بالكم تنهزمون؟ قال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم، من أجل أنّا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض، فقال: أنت صدقتني»[(١)].

ونعود لتفسير الآية: «أن سنة هلاك الأمم أن يفسق فيها قادتها الأغنياء المنعّمون ويخرجوا عن طاعة الله ومنهجه فيصيبها الظلم والبغي، فإن قام الناس وقاوموا الظلم والفساد نجوا، وإن استسلموا

(١) محمد يوسف الكاندهلوي «حياة الصحابة» (٣/ ١٩١٤) - تقديم الشيخ أبي الحسن الندوي - دار المعارف - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

له واستكانوا استفحل الظلم حتى يعم الناس الجبن والخوف، والسعي لتحصيل متع الحياة ولذاتها المحرمة... عندها تخضع الأمة، وتزول عند أول أزمة تصادفها داخلية أو خارجية، والله أعلم»[١]. اهـ.

أمام هذه المساوئ التي تنحدر بحضارة العصر إلى أسفل سافلين، أصبح من واجب الأمّة الإسلامية إعداد نفسها لوراثة هذه الحضارة بتقديم الإسلام كمنقذ للبشرية محققًا لسعادتها في الدارين[٢].

ويتطلب الأمر إعداد الدعاة وتأهيلهم لمخاطبة أهل الأديان الأخرى باللغة التي يفهمونها، وبالأسلوب المؤدي للإقناع.

والنموذج الذي يمكن تطبيقه لهذا الغرض، هو الذي اتبعّه الدكتور زكي نجيب محمود رَحِمَهُ اللَّهُ في إحدى محاضراته بأمريكا.

إذ إنه استخدم حيلة بارعة في تقديم محاضرته فلم يصرّح في بدايتها بأنه سيتحدث عن الإسلام لأنه يعرف شعورهم نحوه -بل أخذ كما

---

(١) عبد الودود يوسف «تفسير المؤمنين» (ص:٢٢٦) - راجعه الدكتور مصطفى الخن طبعة المؤسسة العالمية بدمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(٢) ينظر كتابنا: «دور التراث الإسلامي في تجديد حضارة الإسلام» (ص:٨٦-٩٣). دار «إبداع» بالإسكندرية ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

يقول: أرسم لهم صورة ثقافية حضارية نتمنى جميعًا أن تتجه الإنسانية إلى تحقيقها، ما صورة الإنسان الفرد كما نريد له جميعًا أن يكون؟ ما هي صورة الروابط التي نتمناها جميعًا أن تربط الأفراد في المجتمع؟

وهكذا مضيت في حديثي معهم وكأن موضوعنا هو مستقبل الإنسان ومستقبل الثقافة ومستقبل الحضارة... حتى إذا ما بلغت بحديثي ظفر منهم بالموافقة والرضى، قلت لهم: لكن هذه الصورة التي رسمتها لكم أيها السيدات والسادة هي صورة الإسلام!!

فقال أحدهم قولًا شديد الشبه بما قاله مسيو جوردان لمعلمّه في مسرحية «موليير» قال: أكنّا إذًا طوال زماننا مسلمين ونحن لا ندري؟[1].

وإلى أن يتحقق هذا الأمل الذي ربما يستغرق أجيالًا، نرى من واجبنا اقتراح ما نراه منقذًا لشبابنا من إحدى آفات العصر -أي: العولمة- وسنعيد في نهاية الكتاب مقالًا نشرناه من قبل بعنوان «تحصين الهويّة الإسلامية إزاء حملات التغريب وأزمات العصر».

---

(١) د/ ذكي نجيب محمود «قيم من تراثنا» (ص:٣٦٨) - الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة - مكتبة الأسرة ١٩٩٩م - دار الشروق.

الفصل الخامس

تنبؤات المستقبل

هل قاربت حضارة العصر منحنى التدهور؟

عندما كان الاتحاد السوفيتي في أوج قوته، فإنه كان يأمل في تقديم النظام الشيوعي لحلّ أزمات العالم، ولكننا عشنا فترتي قوته ثم انهياره بفلسفته الماركسية الملحدة، ونظامه السياسي والاقتصادي اللاإنساني حيث يُسحق الفرد وتُخنق حريته وإرادته، وعالميته الخيالية تحت شعار «يا عمال العالم اتحدوا» وحكم الحزب الشيوعي الذي سمح للقلة بالاستئثار بكافة السلطات التنفيذية والتشريعية ونهب ثروات البلاد، وكانت النظم في البلاد الشيوعية في حقيقتها دكتاتورية «وظلت عشرات السنين تبدو بالغة القوة شديدة البأس مستعصية على عوامل الإصلاح أو التغيير»[1].

وقد لخص أحد العمال فشل تلك الأنظمة بقوله المعبر ببساطة وتلقائية: «أربعون عامًا من الاشتراكية ولا يوجد لدينا ورق تواليت»[2].

---

(١) تموثي جارتوس آتس «سقوط الأنظمة الشمولية في أوروبا الشرقية - شاهد عيان في وارسو وبودبست وبراج وبرلين» (ص:١٦) - تقديم سعد زهران - ترجمة مجدي نصيف - مطبعة الثقافة الجديدة بالإسكندرية - ١٩٩٩م.

(٢) نفسه (ص:٢٥).

وفي معمعة حركات الاعتراضات، داس العمال تحت أقدامهم الشعار الواهم «الدين أفيون الشعوب» ففي بولندا -على سبيل المثال- خرج العمال المضربون متشابكي الأيدي «والأب هنريك بانكوفيسكي على رأسهم بينما سار شخص أمامهم يحمل صليبًا خشبيًا كُتب عليه ثلاث كلمات: «الله.. الشرف.. الوطن»[1].

كذلك لا تغفل ما ينتظر من مصير الولايات المتحدة الأمريكية في الأعوام -لا القرون- المقبلة:

ويبدو أن الخط البياني لسير تاريخها بدأ يهبط في انحدار بشكل أسرع مما كان متوقع، والتحول المفاجئ في سنين قلائل من الثراء الفاحش إلى الأزمة الاقتصادية الخانقة، فقد كانت أمريكا في عام ١٩٦٠م بلد قوي جدًا وإذا أخذنا بأرقام الإنتاج فهي أقوى دولة في العالم كله، وبعض ولاياتها أقوى من دول عظمى مثل ألمانيا الغربية أو بريطانيا أو فرنسا، فهي بلد قوي جدًا وضخم جدًا...» كما تتميز

---

(١) نفسه (ص:٢٦).

بالثراء المادي.. وهو صفتها التي تشتهر بها في العالم كله»[١].

ومن كان يصدّق حينذاك، أنه بعد نحو خمسين عامًا فقط وهو زمن وجيز في أعمار الأمم -لاسيما أن عمر أمريكا لا يزيد عن مائتي عام- أن تنحدر أمريكا إلى المستوى الذي دفع بأحد كتّابها إلى تأليف كتاب بعنوان «**خرافة التفوق الأمريكي**»؟!

ولا يتسع المقام لتلخيص فحواه، ولكن بعض العناوين الرئيسية بفصوله تعبر عن المقصود:

ففي الفصل الأول يعرض لقضية «تحالف غير مقدس بين الأصولية الدينية وقوى السوق يقود إلى كارثة». (ص:٩).

وفي الفصل الرابع «مستنقع العراق أخطر من فيتنام وليس لدينا إستراتيجية للخروج» (ص:٤٩).

وفي الفصل العاشر «ميزانيتنا الدفاعية، تفوق ميزانيات دول العالم... ولا نشعر بالأمن» (ص:١١٩).

---

(١) أحمد بهاء الدين «هذه الدنيا» (ص:١١١-١١٤) كتاب اليوم - فبراير ١٩٩٧م، وتاريخ المقال المقتبس منه النص أعلاه في ١٥/ ١٠/ ١٩٦٠ بجريدة الأخبار.

ويقول في النهاية تحت عنوان «نتائج كارثية»: «في مجمل الأحوال وكمحصّلة نهائية لتحليل جميع المؤشرات السياسية والاقتصادية يمكن القول إن وضع أمريكا لم يشهد تراجعًا بهذا الشكل في أي وقتٍ مضى... فالتحول الانقلابي في سياستنا الخارجية يساوي الانقلاب الكبير في ميزانيتنا من فائض ضخم إلى عجز مرعب...

والنتائج العملية أقل ما يمكن أن توصف به أنها كارثية»[(١)].

وكتب مستشار الأمن القومي الأمريكي زيغنو بريجنسكي في كتابه بعنوان «الفوضى» معددًا عوامل كثيرة تمنع الولايات المتحدة الأمريكية من تحقيق حلمها في الهيمنة على العالم وهي:

أولًا: المديونية التي جلبت دينًا قوميًا تراكميًا يتجاوز ٤ تريليون دولار، وقيمة الفوائد التي تفوق الدخل القومي الأمريكي.

---

(١) جورج سوروس «خرافة التفوق الأمريكي» (ص:٧٠)، عرض وتحليل أحمد حسين - كتاب اليوم - عدد (٤٦٧) سنة ٢٠٠٤ م.
ويوصف المؤلف بأنه أحد أبرز رموز القوة المالية للوبي اليهودي العالمي (ص:٥)، وقد دفعه الحرص إلى إصدار هذا الكتاب لحرصه على مستقبل أمريكا والنظام الرأسمالي العالمي (ص:٧، ٨). تقديم أحمد حسين.

ثانيًا: العجز التجاري.

ثالثًا: وضع العناية الصحية سيء جدًّا فهناك الملايين لا يحظون بالعناية الصحية.

رابعًا: التعليم الثانوي متدني جدًّا بالمقارنة مع النظامين الأوروبي والياباني، وهذا يؤدي إلى جهل ٢٣ مليون أمريكي.

خامسًا: تدهور البنية التحتية وتعفن الريف والأحياء الفقيرة في المدن تشابه الطراز الموجود في أفقر بلدان العالم الثالث.

سادسًا: كثرة الإباحة الجنسية التي تهدد الحياة الأمريكية ومركزية العائلة، وزيادة انتشار ثقافة الجريمة وثقافة الشواذ.

سابعًا: ازدياد عدد المليشيات التي تحارب الحكومة الفيدرالية وتطالب بالانفصال عن الولايات المتحدة.

ثامنًا: توريط الولايات المتحدة في حروب خارجية بحيث لا تستطيع الموازنة الأمريكية ولا الشعب الأمريكي تحمل نفقاته[١].

---

(١) د/ رائد العزاوي «أمريكا والإسلام والإرهاب» (ص:١٤٨).

ويبدو أن ناقوس الخطر المنذر بالكوارث قد بدأ يـدق فقـد ازداد الأمر سوءًا بارتفاع معدلات البطالة في أمريكـا لتتجـاوز الــ: ١٠٪ لأول مرة خلال ٢٧ عامًا، وبلـغ عـدد العـاطلين حـسب البيانـات الرسمية ١٥.٧ مليون شخص إلى جانب ٢.٤ مليون غير مـسجلين في البيانات، وقد ساد الإحـساس بمـدى خطـورة الموقـف. وسـاد القلق من التدهور في الاقتصاد الأمريكي [١].

---

(١) جريدة «الأهرام» القاهرية في ١٨ ذو الحجة سنة ١٤٣٠هـ - ٥/١٢/٢٠٠٩م.

الباب الثاني

بعض قضايا الفكر الإسلامي في العصر الحديث

الفصل الأول
مناقشة فكرة تطوير الإسلام ليتلاءم مع العصر أو « الإسلام العصري »

تبنّى التغريبيون فكرة «تحديث» الإسلام وتطويره ليتلاءم مع العصر، لاختلافه عن العصور الأولى للحضارة الإسلامية، وهي فكرة في ظاهرها تعبّر عن حرصهم على خدمة الإسلام، ولكن في حقيقتها تؤدي إلى تخريبه وإذابة الشخصية الإسلامية في بوتقة الحضارة الغربية.

وقد عبّر بعضهم عن آراء شاذة بدعوى «الاجتهاد»، وبعد أن كانت تُعلن هذه الآراء أحيانًا في الخفاء، أو بشكل محدود في نطاق ضيق، تحولّت إلى العلن، وتبنتها شخصيات لها مكانتها في المجتمع وأخذت تروّج لها بعض الصحف والمجلّات ووسائل الإعلام.

ونحن نعجب ممن يحرص على ضرورة المحافظة على هوّية أمته وقيمها الرفيعة المستمدة من تراثها، نعجب كيف يرضى بمسخ شخصيتها وتدميرها بتقليد حضارة العصر التي أصبحت تسير في

مسار مدمر، «فهناك أزمات عديدة داخل الحضارة الغربية فالثورة الصناعية تبدو كما لو كانت جهازًا انقلب الريموت كونترول من يد صاحبه وبدأنا نرى انهيارًا في بعض المؤسسات وإحلالًا لقيم محل قيم...

أصبح الجشع المادي هو السائد وكذلك النرجسية أي: عبادة الذات، والمنافسة شديدة جدًّا، وقد اختفت قيم الرحمة بالضعفاء في المجتمع الغربي الصناعي، المجتمع الغربي لا يعرف الترابط ولا يقيم صلة، وأصبح الشباب يضعون آباءهم في ملاجئ العجزة ولا يزورونهم سوى مرة واحدة في السنة، أصبحت الحركة السريعة صيغة الفرد فأصبح الإنسان الغربي لا يعمّق أبدًا أي عاطفة»[(١)].

إن محاولة تفسير الإسلام بتقريبه إلى قيم العصر -أي: الغرب- ستنتهي إلى التنازل عن هويّتنا، يقول الدكتور جلال أمين: «هذه الإستراتيجية، فضلًا عن أنها تقوم على خطأ محض، لا تعني في النهاية إلا التنازل عن خصوصيتك، بل إذا استخدمنا عبارة أصح، التنازل عن الإسلام أصلًا. ذلك أن هويّة الشيء تتحدّد باختلافه

---

(١) إقبال بركة «الإسلام وتحديات العصر» (ص:١٦٢). دار قباء القاهرة ١٩٩٩م.

عن غيره، فإن لم يكن هناك ما يميّزه عن غيره زال وجوده أصلًا»، ويستند إلى قول كرومر: «إن إسلامًا تجري عليه عملية الإصلاح لا يعود بعد ذلك إسلامًا، ومعناه أن محاولة تفسير الإسلام تفسيرًا يجعله أقرب إلى مبادئ الأوروبيين، إنما يتخلى في الحقيقة عن الإسلام»[(١)].

ويلاحظ لكل من يراقب أحوال أمتنا أنها في طريقها إلى الانحدار الذي تعاني منه حضارة الغرب، والسبب الرئيسي هو فكرة تطوير الإسلام.

وسنعتمد في مناقشة الفكرة باختصار على أمرين:

الأول: لا يملك المدّعون أدوات الاجتهاد المتفق عليها بين علماء أصول الفقه.

الثاني: أنها ليست جديدة طارئة في العصر الحديث وقد ظهرت لها إرهاصات في تاريخنا وتصدى لها العلماء بالرد والتفنيد، وسنعرض رأي الإمام ابن حزم كنموذج.

---

(١) د/ جلال أمين «عصر التشهير بالعرب والمسلمين» (ص:١٣٢) - دار الشروق ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

أولًا: ما هي شروط الاجتهاد التي تؤهل للاجتهاد المطلق؟

عرّف العلماء المجتهد المطلق بأنه «من حفظ وفهم أكثر الفقه وأصوله وأدلته في مسائله إذا كانت له أهلية تامة يمكنه بها معرفة أحكام الشرع بالدليل وسائر الوقائع إذا شاء، فإن كثرت إصابته صلح مع بقية الشروط -أن يفتي ويقضي وإلا فلا-.

وقالوا: إن الاجتهاد المطلق لابد لتحصيله من توافر المعرفة الجيدة بالكتاب والسُّنَّة وما ورد فيهما مما يتعلق بالأحكام، وأن يعرف الأمر والنهي، والمجمل والمبين، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص والمطلق والمقيد والمستثنى والمستثنى منه، وتوافر المعرفة الجيدة بالسُّنَّة النبوية الشريفة بحيث يستطيع المجتهد التمييز بين صحيح السُّنَّة وسقيمها ومراتب ما روي منها وطرق الاحتجاج بها وغير ذلك مما هو ضروري ولازم لمعرفة الحكم الشرعي من القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة.

وقالوا أيضًا: لابد للمجتهد المطلق أن يعرف ما أجمع عليه الفقهاء وما اختلفوا فيه وأن يعرف القياس وشروطه وأن يكون على

قدرٍ كافٍ من المعرفة باللغة العربية وأساليبها ونحوها وصرفها»[١].

ونـدعو هـؤلاء المـدّعين للاجتهـاد إلى اتقّـاء الله، والبحـث في أنفسهم: هل استكملوا أدوات الاجتهاد بـصدق؟! أم أن الـشيطان زيّن لهم سوء أعمالهم؟

قال رسـول الله ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ؛ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»، وفي لفظ آخر: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ؛ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ»[٢].

ثانيًا: يبدو أن مخالفة النـصوص الـشرعية بالكتـاب والـسنة ليـست وليدة عصرنا الحاضر، ولكن أثيرت من قبل، فتصدى لها العلـماء بـالرد الوافي الذي يُبطل إخضاع الإسلام لمصلحة المجتمع أو ظروف الواقع.

قال الإمام ابن حزم: «إذا ورد النص من القرآن أو الـسنة الثابتـة

---

(١) د/ عبد الكريم زيدان «أصول الدعوة» (ص:١٤٣-١٤٤).
مكتبة «المنار الإسلامية» بغداد - ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
(٢) مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

في أمر ما، على حكم ما، ثم ادّعى مدّع أن ذلك الحكم قد انتقل أو بطل من أجل أنه انتقل ذلك الشيء المحكوم فيه عن بعض أحواله، أو لتبدّل زمانه، أو لتبدل مكانه فعلى مدعي انتقال الحكم من أجل ذلك، أن يأتي ببرهان من نص قرآن أو سنة عن رسول الله ﷺ ثابتة، على أن ذلك الحكم قد انتقل أو بطل، فإن جاء به صح قوله، وإن لم يأت به فهو مبطل فيما ادّعى من ذلك»[1].

ثم يستطرد: «فإن قيل: وما الدليل على تمادي الحكم مع تبدل الأزمان والأمكنة؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق: البرهان على ذلك: صحة النقل من كل كافر ومؤمن على أن رسول الله ﷺ أتانا بهذا الدين، وذكر أنه آخر الأنبياء وخاتم الرسل، وأن دينه هذا لازم لكل حيّ ولكل من يولد إلى القيامة في جميع الأرض، فصح أنه لا معنى لتبدل الزمان، ولا لتبدل المكان، ولا لتغير الأحوال، وأن ما ثبت فهو ثابت أبدًا في كل زمان، وفي كل مكان، وعلى كل حال، حتى يأتي نص بنقله

---

(١) «الإحكام في أصول الأحكام» للإمام ابن حزم (٢/ ٥) - مراجعة وتحقيق لجنة بإشراف الناشر: دار الحديث بالقاهرة.

عن حكمه في زمنٍ آخر، أو مكانٍ آخر، أو حال أخرى»[١].

وحذّر الإمام ابن حزم القول على الله تعالى بغير علم: «والصحيح من ذلك أنا وجدنا الله تعالى أنكر على من حقق شيئًا بغير علم وأنكر على من كذب بغير علم، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، فقد حرّم الله تعالى بنص هذه الآية أن يقول أحد على الله ﷻ شيئًا لا يعلم صحته... وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:٣٩]، فأنكر تعالى تكذيب المرء ما لا يعلم أنه كذب، وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١]، وإلا فقوله ساقط»[٢].

لذلك يتبين لنا شذوذ الرأي القائل بأن أحكام المعاملات وقتية لأن طبيعتها أن تكون إقليمية -أي في المكان- ومؤقتة -أي في

(١) نفسه (٧/ ٨).
(٢) نفسه (١/ ٧٢-٧٣).

الزمان- وأنه «يجوز لمجتمع أن يتجاوز عن بعض الأحكام حتى ولو كانت قطعية الثبوت والدلالة، طالما أن المصلحة العامة للمجتمع أو الظروف الواقعية والحاضرة لا تسمح بتطبيقها»[(١)].

وهناك كتابات حاقدة، تصر على استخدام منهج كارل ماركس في التفسير المادي للتاريخ، وهو الفيلسوف القميء الذي هلك، وانهار بعده الاتحاد السوفيتي الذي طبق فلسفته، ثم أُلقى بها في مزبلة التاريخ[(٢)].

---

(١) وهو رأي المستشار سعيد العشماوي، انظر كتاب إقبال بركة «الإسلام وتحديات العصر (ص: ١٩٤) دار قباء للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٩٩م.

(٢) على سبيل المثال، يُنظر كتاب الدكتور عمر بن عبد الله كامل الذي ألقم مؤيدي هذا الفيلسوف حجرًا بكتابه الممتع «الآيات البينات لما في أساطير ألقمني من الضلال والخرافات» مكتبة التراث الإسلامي ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

الفصل الثاني

ازدهار حركة الصحوة الإسلامية

من معالم الصحوة الإسلامية:

يعرّف الدكتور الأحمدي أبو النور الصحوة الإسلامية بقوله:

«إن الصحوة الإسلامية تعني تعرّف المسلم على إسلامه، وحين قلت إن الإسلام عبارة عن مظهر ومخبر، كنت أعني أن التركيز على جانب العناية بجزئية أو بعنصر من عناصر الإسلام وترك العناصر الأخرى، وأعود فأحدّد معنى الصحوة، وهي في رأيي الأخذ بالإسلام كلّه: العقيدة والسلوك والإطار... والإسلام تربية وسلوك وحياة كاملة تشمل العلاقة السياسية والاقتصادية والإنسانية والدولية في إطار متكامل»[1].

ومع موافقتي لهذا التعريف؛ فإني أضيف أن الصحوة الإسلامية تخطو خطواتها الأولى -والطريق أمامها طويل- وهي مقدّمة

---

(١) إقبال بركة «الإسلام وتحديات العصر» (ص:١٣١) - دار قباء - ١٩٩٩م.

ضرورية لإعادة الأمّة إلى طريقها الأصلي الـذي كانـت تجتـازه مـن عصر النبي ﷺ، وذلك قبل انقضاض الاستعمار -بجناحيه الماركسي والغـربي- عليهـا، وتحويلهـا بـالقوة عـن مـسارها، ومـسخ الأمـة الإسلامية ثقافيًا وجعلها تابعًا ذلـيلًا في نظـم الـسياسة والاقتـصاد والتربية والتعليم والآداب والفنون.

إن تحرير الأمّة من آثار التغريب هو أول الواجبات، والعمل على إحياء الإسلام تصورًا وتطبيقًا كدين وحضارة.

وإذا استرشدنا بآراء محمد أسد المهتدي للإسلام فإننا سنعثر على القول الفصل الناجم عن خبرة بأبعاد حضارة الغرب، ثـم اسـتطاع بعد إسلامه الاطلاع الواسع على التراث الإسـلامي ومـن ثـمّ كـان حكمه صائبًا عندما قال: «وفي هذا العـالم المملـوء بـالآراء الجديـدة المتصادمة والتيارات الثقافية المتعارضة لا يستطيع الإسلام أن يظـل شكلًا أجوف، لقد انقضى نومه السحري الذي دام أجيالًا فيجب أن ينهض أو يموت. إن المشكلة التي تواجه المسلمين اليوم هي مشكلة مسافر وصل إلى مفترق الطرق:

إنه يستطيع أن يظل واقفًا مكانه، ولكن هذا يعني أنه سيموت جوعًا، وهو يستطيع أن يختار الطريق التي تحمل فوقها هذا العنوان «نحو المدنية الغربية» ولكنه حينئذٍ يجب أن يودّع ماضيه إلى الأبد، أو أنه يستطيع أن يختار الطريق التي كُتب عليها «إلى حقيقة الإسلام». إن هذه الطريق وحدها هي التي تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم وباستطاعتهم التطور نحو مستقل حي»[1].

ذلك هو القول الفصل بين الذين يتخذون منهج السلف طريقًا للنهضة وانطلاقًا للمستقبل، وبين من يستخدمون الغرب «قبلتهم» ولنا أدلتنا في الترجيح سنعرضها فيما يلي:

«ذلك لأن الإسلام لم يكن مجموعة من الطقوس الدينية فحسب، كما هو الشأن في غيره من الأديان ولكنه كان حضارة كاملة يحملها الإسلام حيثما ذهب لها لغتها التي لا يصح التعبّد بغيرها، ولها قيمها وقوانينها التي تمتد وتتغلغل لتشمل سائر احتياجات

---

(١) محمد أسد «الإسلام على مفترق الطرق» (ص: ٨٥، ٨٦) ترجمة د/ عمر فروخ - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٤م.

الأفـراد والجماعـات في سـلوكهم، وفي معـاملتهم، وفي نـشاطهم الفكري والفني والعاطفي على السواء...

واتسمت بالوحدة التي تذيب فوارق الجنس واللغة والمكان بـل تذيب الفوارق الناشئة عن اخـتلاف الزمـان لتـضم هـذه الأمـة في وحدة كونية، تـرد آخرها إلى أولها، وتجمع حاضرها وماضيها، بسبب ثبات القيم الإسلامية، وقدرتها على الاستجابة لحاجات الحياة في تقلبّها وتطوراتها»[1].

وتاريخ التغريب الذي كان أهم أهدافه تحويل الأمـة الإسـلامية عن مسارها، تاريخ طويل، واستغرق نحو قرنين من الزمان، ولكننا نختصره تحديدًا، فنبدأ بتتبع خطواته بالتعرف على بحـث المستشرق جب منذ ١٩٣٢م الذي لفت نظر زملائه بأن تعاليم الإسلام تسيطر على المسلمين في كل تصرفاتهم لأن الإسلام ليس مجرد مجموعـة مـن القوانين الدينية، ولكنه حضارة كاملة، مما حول جهـود المستشرقين من دراسة العصور الإسلامية الأولى في صـدر الإسـلام إلى دراسـة

(١) د/ محمد محمد حسن «الإسلام والحضارة الغربية». بدون اسم الناشر.

العصر الحديث لتغيير سلوك المسلمين وإدماجهم بحضارة الغرب، أي الاهتمام بالقيم الإسلامية الأولى حين كان سلوك المسلمين امتدادًا لسلوك آبائهم وأجدادهم وحين كان تاريخهم امتدادًا للتاريخ الإسلامي، وبدأت جهود الاستعمار في التغريب تؤتي ثمارها وبدت آثارها واضحة في سلوك المسلمين المعاصرين الذي أصبح صدىً للفكر الغربي، وللحضارة الغربية بأكثر مما هو امتداد للقيم الإسلامية»[١].

وتتابعت المؤتمرات لتحقيق هذا الهدف، منها مؤتمر «الشرق الأدنى» الذي دار البحث فيه حول تطوّر الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية في جامعة برنستون ١٩٤٧م في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وتبعه مؤتمرٌ آخر عقد سنة ١٩٥٣م في الجامعة نفسها[٢]، وقد أثمرت الجهود التي بذلها الاستعمار في العالم الإسلامي خلال قرن أو أكثر، وكان ثمرتها مجموعة من علماء

---

(١) د/ محمد محمد حسن «الإسلام والحضارة الغربية» (ص:١٠٢).

(٢) نفسه (ص:١٢٥).

المسلمين المتفرنجين وكان أشهرهم الدكتور فضل الـرحمن الهنـدي، الذي وصف الإسلام الذي أُنزل على الرسول ﷺ فسماه «الإسـلام الكلاسيكي» ووضع في مقابله «الإسلام الحديث»[١].

ازدهار حركة الصحوة الإسلامية:

ومع كل ما حدث فنحن نتوقـع بـروح التفـاؤل ازدهـار حركـة الصحوة الإسلامية واستمرارها في المستقبل بمشيئة الله تعـالى، حقًّـا إنه لا يعلم الغيب إلا الله ﷻ، ولكننا نستمد تفاؤلنا من التعرّف على نتائج بعض التجارب الأليمة التي مرت بها أمتنا على مـدى القـرنين الأخيرين، وخرجت منها سالمة بل نفضت عن عينيها نعـاس النـوم وأخذت تستيقظ، فمنها:

أولًا: «أن المستعمرين لم يتمكنوا من إزاحـة عامـة المـسلمين مـن طريق الإسلام طوال مدة استيلائهم على البلاد الإسلامية على رغـم جهودهم في هذا الغرض. لا شك أن المستعمرين قد أطبقوا علـيهم

(١) نفسه (ص:١٤٢).

الجهل، وعكروّا صفو أخلاقهم الزكية، ونفذوّا فيهم قوانينهم المستوردة بدلًا من أحكام الإسلام، وجعلوهم متعودين على حياة غير إسلامية إلا أنهم ما استطاعوا إثارتهم ضد الإسلام وتقاليده، والدليل على ذلك هو أن عامة المسلمين حتى الساعة مازالوا مولعين بالإسلام كما كانوا في الماضي...

إن الأقلية القليلة من المفتتنين بالحضارة الغربية قد أُخذوا ببريقها وآمنوا بقوانينها ونظمها الوضعية إلا أن عامة المسلمين لا يؤمنون إلا بالإسلام ولا يطالبون إلا بتطبيق قوانينه في بلادهم»[1].

ثانيًا: فشل الجرائم التي ارتكبها أتاتورك اليهودي الدونمي وهو أحد طغاة العصر، إذ فاقت جرائمه ضد الإسلام والمسلمين الجرائم التي ارتكبها ملك التتار، وكان من المتوقع انحسار الإسلام عن تركيا وخُيل للذين تابعوا خططه الشيطانية أنه لن يقوم للإسلام قائمة ولكنه خاب وخسر ومات في أسوأ حال.

---

(١) أبو الأعلى المودودي «واجب الشباب المسلم اليوم» (ص:١٢، ١٣) - المكتب الإسلامي - بيروت - والكتاب يتضمن محاضرة ألقاها الأستاذ المودودي أمام جمع من الشباب في مسجد الدهلوي بمكة المكرمة أمام الحج ١٣٨١هـ.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

ولو عاش ورأى عودة الإسلام إلى تركيا لعض أصابع الندم حسرةً وكمدًا، فها نحن نرى كيف استرد الشعب إلى عافيته بعد التضحيات الجسيمة، بقيادة الإمام الشيخ سعيد النورسي رحمه الله، وعجز القهر القاسي الذي مارسه العسكر من بعده، عجزوا عن اقتلاع الإسلام من قلوب الأتراك.

يقول الأستاذ محمد جميل بيهم في وصف زيارته إلى تركيا عام ١٩٥٥: «استبان لي أن العلمانية ما استطاعت أن تزيح الإسلام هناك لتحل محله، كما أن الطورانية ما كان بوسعها من قبل أن تفصل الأتراك عن الجامعة الإسلامية.

و«الواقع أنه ما إن مات أتاتورك حتى أخذت السفينة تتحول تدريجيًا في مجراها ومرساها شطر الإسلام بتأثير مبادئه الراسخة في أعماق قلوب الشعب، تلك المبادئ التي لم تتبدل إلا في الناحية السياسية، ولم تتغير إلى في المظهر».

وقد أعاد الرئيس عصمت إينونو تعليم الدين في المدارس «فكان عهده بمثابة فتح ثغرة في صرح العلمانية القائمة ينفذ منها الإسلام إلى جهاز الحكم تلبية لإرادة شعب لا يزال الدين مستقرًا في قلبه ونفسه استقرر تقاليده وأخلاقه».

وتأيدت هذه الحقيقة بفوز الحزب الديمقراطي بقيادة جلال بايار -دون حزب الشعب الذي أسسه أتاتورك- وكان سبب فوزه أنه أعلن برنامجه إذا فاز في الانتخابات سيعيد الأذان إلى اللغة العربية، وسيرفع الحظر على الراغبين في الحج، وسيرجع إلى المدارس التعليم الديني سيرته الأولى، هذا فضلًا عن المحافظة على عروبة القرآن».

وكان هذا بمثابة استفتاء شعبي أن ممارسة النظام للعلمانية مدة تناهز ربع قرن[1] لم تستطع أن تقضي على نزعة الأتراك الإسلامية.

وقد أدى الضغط الشعبي إلى فوز أحزاب ذوات مرجعية إسلامية وصعودها إلى الحكم أكثر من مرة رغم محاولات إعاقتها

---

(١) محمد جميل بيهم «العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب» - المطبعة الوطنية - بيروت - ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

«وهي على الترتيب والتوالي: حزب الرفاة - ثم حزب الفضيلة - ثم حزب العدالة والتنمية - والأخير هو الذي يدير الحياة في تركيا في الوقت الحالي، وينتمي إليه رئيس الجمهورية عبد الله جول ورئيس الوزراء رجب طيب أردوجان»[١].

وتعليل ذلك أنه بالرغم من زرع بذور العلمانية منذ إلغاء الخلافة فإن عامة الشعب خاصة الطبقة المتوسطة المناطق الريفية مازالوا مرتبطين بجذورهم الإسلامية.

ثالثًا: اتساع رقعة الصحوة الإسلامية بالرغم من الحرب الطاحنة المعلنة عليها بالإعلام والقوانين المقيدة للحريات، وحملات التشهير وبخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، تلك التي تحيط بها الكثير من الأكاذيب المختلقة والروايات الملفقة إذ برهن كثير من الباحثين أن وراءها مخطط معدّ مسبقًا لتوحيد الشعب نحو هدف

(١) د/ محمد المهدي - مقال بعنوان: «تركيا... الديمقراطية عندما تأتي بالإسلاميين في دولة الباشا» جريدة الدستور القاهرية في ١٨ شوال ١٤٣٠هـ - ٧/ ١٠/ ٢٠٠٩م - (ص:١٨).

غزو أفغانستان[١].

---

(١) وقد توالى ظهور كثير من المؤلفات والبحوث والدراسات تطعن في الرواية الرسمية لأحداث ١١ سبتمبر، وكلها تستند إلى أدلة وبراهين بحيث تجعل القارئ أكثر اقتناعًا بافتعال هذه الأحداث افتعالًا؛ لتبرير ما استتبعها من حروب وإجراءات لتضييق الخناق على المسلمين بمصادرة أموالهم والقبض على بعضهم بغير جرائم اقترفوها وكبت حرياتهم تحت شعار محاربة الإرهاب، وهو الاسم الحركي للمقصود وهو الإسلام.

وكان الفيلسوف الفرنسي رجاء جارودي من الباحثين بدراية وعمق لأسرار ١١ سبتمبر بكتابه «الإرهاب الغربي» وخلُص إلى وصفها بأنه خيانة عظمى ومؤامرة، كما رأى أنها ليست المرة الأولى التي تنظم المخابرات المركزية الأمريكية وعسكريون في مناصب عليا ومسؤولون سياسيون مثل هذه الإثارة لإجبار الشعب على القبول بفكرة ضرورة القيام بحرب إبادة، وقد أسس هذا الحكم بناءًا على العوامل الآتية:

أ - إن عملية بهذا الحجم وبهذه الدقة لا يقوم بها إلا طيارون محترفون.

ب- إن أي عملية ناجحة كهذه تقتضي معرفة تامة باللوائح والثغرات في سماء يراقب الأمن العسكري كل متر مربع فيها.

ج- لم تتدخل الطائرات العسكرية، وهي دائمًا مستعدة للإقلاع للقضاء على أي طائرة مشبوهة.

د - تتمتع أمريكا في مجال أبحاث مكافحة خطف الطائرات بنظام يتيح شل حركة الطيران في الطائرة المستهدفة... وكان كل شيء مخططًا عن طريق التحكم من بعد». جارودي: «الإرهاب الغربي» (١/ ٩) تعريب د/ داليا الطوخي ود/ ناهد عبد الحميد ود/ سامي مندور.

ويقول الدكتور جلال أمين: «وبينما يشكك كتاب فرنسيون وألمان في القصة كلها=

ويسهل تبيان أن الصحوة الإسلامية في اتساع بنظرة مقارنة لأحوالنا الاجتماعية والثقافية والسياسية الحالية وبين هذه الأحوال منذ قرن من الزمان إذ تجعلنا ندرك أن التغييرات إلى الأفضل. حقًّا إنها تغييرات ربما تبدو ضئيلة للعين المتسرعة، ولكن مع التصميم على التقدم نحو الأفضل فإن الزمن في صالحنا، وذلك بعد اندحار الاستعمار العسكري وانحسار الماركسية، ونرى مظاهر الازدهار في التطورات التالية:

فمنذ مائة سنة كان الاستعماران الإنجليزي والفرنسي يطوقان

= وقال بعض القانونيين الإنجليز أن ما يقدم على أنه أدلة ضد هؤلاء السعوديين والمصريين التسعة عشر، هي من الضعف بحيث لا تكفي حتى لتقديمهم للمحاكمة، ناهيك عن إدانتهم... ويرى هو شخصيًّا أن جزءًا كبيرًا مما تقوله وسائل الإعلام يتعارض تعارضًا صارخًا مع المنطق السليم.

د/ جلال أمين «عصر التشهير بالعرب والمسلمين» (ص:٧٥-٧٧) - دار الشروق ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

وينظر البحث بعنوان «أحداث سبتمبر» ما هي الحقيقة ؟ بكتابنا «خواطر حول كتاب الإسلام بين الشرق والغرب» لعلي بيجوفيتش - ط. دار الخلفاء الراشدين ودار الفتح بالإسكندرية.

العالم الإسلامي، واحتل الروس البلاد التي كانت تابعة للخلافة في أوروبا الشرقية فوقعت بأيدي الروس وفُرض على المسلمين الإلحاد القسري وحيل بينهم وبين أداء شعائر دينهم.

والآن؛ نلاحظ انتشار التعليم والارتفاع الآخذ في الزيادة في أعداد المدارس والجامعات والإقبال على التدين عقب هزيمة القومية والماركسية وفي أعقاب الهزيمة الكارثة في يونيو سنة ٦٧ والمراقب يرى زيادة أعداد الشباب المتدين وتعمير المساجد في صلوات الجماعات والجمع، والالتزام بالسلوك الإسلامي في الزي بين النساء والفتيات، والإقبال منقطع النظير على رحلات الحج والعمرة، وتجاوب أقطار الإسلام بين الشعوب الإسلامية مع محن إخوانهم في أفغانستان وفلسطين والعراق وكشمير والشيشان والبوسنة والهرسك ولا ينقصها إلا القيادة والسياسة المخلصة التي توظّف ذلك كله في خدمة قضايا الأمة.

كذلك يلاحظ تسارع حركة تأليف الكتب الإسلامية مع إعادة نشر كتب التراث وتحقيق المخطوطات في كافة قضايا الدين: العقيدة

والعبادات والشريعة والتفسير والحضارة والتاريخ والتصوف والأخلاق والتربية والفقه وأصوله والتراجم وكتب السنة والسيرة النبوية، وما لا يحصى من فروع المعارف الإسلامية.

أما طبعات القرآن الكريم فيتعذر الإلمام بعددها في كافة أنحاء العالم الإسلامي، وهي من أظهر معالم الصحوة.

ويمكن القول بأن هذه المؤلفات والمصادر في مجموعها تعبّر عن القلب الجمعي للأمة، كما أنها تمثل أساس حضارتها بأصالتها وهويتها وجذورها التاريخية الممتدة عبر القرون، كما أنها بمثابة القوى الوجدانية الكامنة في أحشاء الأمة وستظهر آثارها بالعمل بها إن آجلًا أو عاجلًا، فالمستقبل لنا بإذن الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٤].

الفصل الثالث

المنهج السلفي والعصر

وتأتي الفرصة سانحة لمناقشة الفكرة القائلة بأن السلفية تـسير في اتجاه معاكس للعصر! وهذه الفكرة تتكـرر بـشكل مملّ عـلى ألـسنة بعض العلمانيين والحداثيين والمستغربين.

ولكن للإنصاف؛ فإننا نميّز بين فئتين من هؤلاء الباحثين:

أولًا: فئة أغلقت قلبها على معتقدات نشأت على كراهية الإسلام ومعاداته، ولكن لا تجـرؤ عـلى إعـلان ذلـك صراحـة، فتتخفـى في الهجوم عليه وراء ستار أنها تقصد المنهج الـسلفي فحـسب، لأنـه في زعمهم يعود بنا إلى الوراء، ويسير في اتجاه معـاكس للعـصر المتقـدم الذي نعيشه.

وهذه الفئة لا حيلة لنا معها إلا بالدعاء بالهداية!

ثانيًا: فئة أغلقت آذانها عن سماع أي صوت معـارض وانقـادات لتلقينات آراء المستشرقين التي تتسم بالقصور حينًا وبالعدوانية حينًا

آخر على عقائد الإسلام وشريعته وتاريخه ولاسيما عند تناول مذهب السلف؛ لأنه كان شديدًا على البدع الدخيلة في الإسلام مما هيّأه لأن يكون الدعامة التي قامت عليها أول حركة إصلاحية في العصر الحديث»[(١)] . ويقصد بها الحركة الوهابية في قلب الجزيرة العربية وهي القوة التي تعارض كل بدعة مستحدثة في الإسلام[(٢)] .

فضلًا أن المذهب السلفي هو الذي حافظ على النقاء التام للعقيدة الإسلامية -عقيدة السلف الصالح- لأن «هذه الأمة لن يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، وقد كان التزام الناس بالإسلام أول عهدهم به، وزمن الرسول ﷺ والمرشدين من بعده سببًا أساسيًّا في حضارة الأمة وريادتهم الأمم الأخرى، وبقدر ما انحلت رابطة الالتزام بين المسلمين والإسلام بقدر ما تقهقروا وصاروا فريسة لغيرهم»[(٣)] .

---

(١) عبد العزيز عبد الحق «أحمد بن حنبل والمحنة» (ص:١٨) وهو مترجم - تأليف ولتر. ج باتون - مراجعة محمود محمود - ط. دار الهلال بمصر - رمضان ١٣٧١هـ - إبريل ١٩٥٨م.

(٢) نفسه (ص:٢٨٩).

(٣) د/ أبو اليزيد العجمي مقدمة كتاب ابن قائد النجدي «نجاة الخلف في اعتقاد السلف» بتحقيقه (ص:٥٨) - دار الصحوة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

إن هذه العلاقة الثابتة بين استمساك المسلمين بدينهم ووحدتهم، وازدهار حضارتهم وعلو مكانتهم في مقدمة الأمم، يأخذ شكل التلازم الثابت بين الدين والنهضة، وأي إهمال لتعاليم الإسلام يرجع بالأمة إلى الوراء، ومن ثم تتكالب عليها الأمم كما نشاهده في العصر الحاضر مصداقًا لتنبؤ الرسول ﷺ.

وكان السياسي الألماني الشهير البرنس «مترنخ» مخلصًا في رسالته التي وجهها للمصلحين الأتراك عندما ذكّرهم بذاك التلازم وحذرهم من إهمال الدين فقال في رسالته: «أقيموا حكومتكم على أساس احترام أنظمتكم الدينية التي هي دعامة وجودكم دولة قوية، سايروا الزمان وابحثوا عن مطالبه، أدخلوا النظام في إدارتكم وأصلحوها ولكن لا تقلبوا أوضاعها بأن تستبدلوا بها الأنظمة التي لا تليق بكم والتي تعرّض الحاكم لعار الجهل بقيمة ما يتلف وما يحل محله... ننصح للباب العالي ألا يقلّدوا الدول التي يتعارض تشريعها الأساسي مع تقاليد الباب العالي، وأن يتحاشى في عناية إدخال الإصلاحات التي ليس من شأنها إلا تفكيك عرى الوحدة

في البلاد الإسلامية لأنها ستكون في هذه الحالة صفرًا من كل قوة منشئة منظمة»[(١)].

ولأن المستشرقين لعدائهم التقليدي للإسلام -وبخاصة منهج السلف الذي حافظ على عقائد المسلمين الأوائل- كما بينا لهذا استهدف المنهج السلفي لأشد هجمات المستشرقين ضراوة، في الوقت الذي اهتموا به بالشخصيات والمذاهب المخالفة لعقائد السلف، كالخوارج والشيعة والمعتزلة وأمثال الحلاّج والسهرودي المقتول[(٢)].

---

(١) كتاب «واجهة الإسلام» تأليف هـ. أ. رجب وآخرين (ص:٣١) - ترجمة د/ محمد عبد الهادي أو ريدة - المطبعة الإسلامية بالقاهرة.

(٢) ولنتأمل هذه الحفاوة البالغة بالمذهب الأشعري، فمن المستشرقين من وجد فيه ضالته لبث الفرقة بين المسلمين.

فيرى فون كريمر أن انتصار الأشعري لا يعدو أن يكون فوزًا دينيًا فحسب، ولكنه كان أيضًا كما قال المستشرق شرينر انتصارًا للفكر والنظر على الإيمان المبني على التسليم والتقليد. «المصدر السابق» (ص:٢٩٠).

ولو قرأ هذا المفتري الجاهل أحد مؤلفات ابن تيمية لتبين له أن المنهج السلفي مبني على الأدلة العقلية، وهي شرعية أيضًا لأن القرآن الكريم دلّ وأرشد إلى استخدامها». ينظر كتابه «درء تعارض العقل والنقل».

وسنعرض فيما يلي لرأي خصوم التفكير السلفي ثم نناقشه على امتداد بحثين: **الأول: تحرير التفكير السلفي من الالتصاق بالماضي.**

والثاني: ضرورة المنهج السلفي لقيام نهضة إسلامية حديثة.

المبحث الأول: يقول أحد الباحثين في وصف التفكير المستقبلي وتعارضه مع التفكير السلفي: «فالتفكير المستقبلي بمنهجه النقدي والعقلاني يواجه بالطبيعة بيئة ثقافية معادية فهو نسق علمي قائم على المنطق، والإنسان المعرفي يجاهد لصياغة المستقبل، وهو نقيض التفكير السلفي الذي يحاول بناء المستقبل على شاكلة الماضي، وإحياء الفردية المفقودة لا بناءها»[١].

وهذه الفكرة المنحرفة تفتقد إلى الموضوعية وبعيدة كل البعد عن الالتزام بمنهج البحث العلمي النزيه، كما تدل على العزوف عن بذل الجهد المستقل لمعرفة حقيقة التفكير السلفي وأسسه، اكتفاءً بكتابات المستشرقين العدائية.

---

(١) د/ محمد إبراهيم منصور مقال بعنوان «مشروع مصر ٢٠٢٠» قراءة نقدية وسيناريو لمشروع بديل في ٢٠٣٠ (ص:١٥٦) من مجلة «مستقبل العالم الإسلامي» العدد ١١ - ربيع ٢٠٠٩م - يصدرها مركز الدراسات العالم الإسلامي - مالطا.

ونقطة البدء هي استبعاد العلاقة الملازمة في تصوّرهم الفاسد بالظن أن السلفية تسير في اتجاه مخالف للعصر وتتشبث بالماضي التاريخي، بمعنى الرجوع إلى الوراء إذ أن العنصر الجوهري في السلفية هو التعلم من التاريخ وهدفها السعي لتحقيق النهضة المرجوة في المستقبل وعمادها تربية الإنسان المسلم -بعد تخليصه من مضار الغزو الثقافي -وفق المنهج التربوي الذي خرّجَ النماذج الإنسانية الراقية التي قادت أمة الإسلام على مدى عصور حضارتها الزاهرة في مجالات العقائد والعبادات والقيم والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وصنوف العلوم والآداب والفنون، أي الارتقاء إلى مستوياتهم الرفيعة.

ولذلك كان دراسة التاريخ أمر لازم للتعلّم منه في بناء المستقبل لا الرجوع إلى الماضي كما يتوهم خصوم السلفية عن عمد أو عن جهل وتبرهن السلفية على سلامة منهجها وصحته بأن هذه النماذج ظهرت أوّل ما ظهرت في عصور الإسلام الأولى، وإذا فسرنا حركة التاريخ الإسلامي بالمد والجزر، فإن كل فترة مدّ لحضارتنا فقد

قامت على أكتاف أولئك الذي ساروا على المنهج التربوي للمسلمين الأوائل، وندعو الباحثين لدراسة هذا التلازم المثير لدهشة كلّ من تعرض لدراسة تاريخ الإسلام، وعلى سبيل المثال:

تقول الدكتورة لورا فنيشا فاليري: «لم يشهد التاريخ حادثًا مماثلًا لهذا الحادث الخطير لأن السرعة العظيمة التي أتم بها الإسلام فتوحاته كان لها أبلغ الأثر في حياته، إذ أنه بعد أن كان عقيدة نفر من المتحمسين أصبح ديانة لعدة ملايين من الناس وليت شعري كيف تأتيّ لهؤلاء المجاهدين غير المدربيّن أن ينتصروا على شعوب تفوقهم مدنية وثروة وتزيد عليهم دربة ومراسًا للحروب؟ وكيف استطاعوا أن يبسطوا سلطانهم على بلاد متسعة الأرجاء؟ وأن يحتفظوا بفتوحاتهم هذه ويوطدوا هذا الصرح العظيم الذي ثبت أمام حروب شديدة استمرت قرونًا عديدة؟ فلم تقو على هدمه ونقض بنيانه الشامخ المتين، وكيف أمكن هذا الدين أن يوطد في نفوس أولئك المهتدين الحديثي الإيمان أمتن الأسس؟ وكيف تسنى له أن يحتفظ بحيويته العظيمة التي لم تعرف مثلها ديانة أخرى من قبل

حتى بعد ثلاثة عشر قرنًا خلت بعد حياة مؤسسه ﷺ؟!»[(١)].

ويقول اللورد هدلي الذي لفت نظره نفس الفكرة: «وقد كنت أعجب دائمًا بما كنت أقرأ عن أبطال الإسلام وعن أولئك الأفراد الذين خرجوا من العراء حفاة الأقدام فاستطاعوا أن يكونوا أعظم قوّاد العالم، وأعدل قضاة الأرض، وأشهر المشرّعين على الإطلاق»[(٢)].

وقد لفتت هذه الظاهرة أيضًا العالم الأمريكي جورج سارتون واتخذ منها سندًا لإمكان إحياء نهضة المسلمين من جديد مستقبلًا، فقال: «إن المسلمين يمكن أن يعودوا إلى عظمتهم الماضية وإلى زعامة العالم السياسية والعلمية كما كانوا من قبل، إذا عادوا إلى فهم حقيقة الحياة في الإسلام والعلوم التي حث الإسلام على الأخذ بها... وإن تلك الهزائم السياسية التي مني بها الإسلام -«والأصح

---

(١) د/ لورا فنيشا فاليري «محاسن الإسلام» - ترجمة محمد فوزي - نقلًا عن أنور الجندي «الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإسلامي» (ص:١٦٦) ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.

(٢) نفسه (ص:١٧١).

المسلمين عندما حادوا عن منهج السلف» - لم تزعزع ثقة المسلمين بأنفسهم بل هي على العكس زادت من إيمانهم»[١].

وهكذا فإن المنهج السلفي يدعو إلى الإفادة من هذه الحقيقة الثابتة التي تكررت على مدى تاريخنا، أي «التعلم من الماضي لبناء المستقبل إذ أن المرء لا يستخلص الدروس والعبر من أسباب ازدهار الحضارة فقط، بل من دواعي انهيارها كذلك»[٢].

ويتضح لكل باحث موضوعي أن أحد أسباب انهيار حضارتنا -إن لم يكن أولها- هو إهمال مذهب السلف، وأن استئناف قيامها من جديد أمر ممكن في المستقبل.

وقد قام الأستاذ محمد أسد «ليوبولدفايس سابقًا» بدراسات مستفيضة طيلة خمس سنوات للقرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ واللغة العربية وتاريخ الإسلام وكثيرًا مما كُتب عنه أو كُتب في الرد عليه وخلص منها إلى القول بأن: «هذه الدراسات والمقارنات

---

(١) نفسه (ص:١٢٥).

(٢) زيجريد هونكه «الله... ليس كذلك» (ص:٩٦) - دار الشروق ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

خلقت فيّ العقيدة الراسخة بأن الإسلام من وجهته الروحية والاجتماعية لا يزال -بالرغم من جميع العقبات التي خلفها تأخر المسلمين- أعظم قوة ناهضة بالهمم عرفها البشر»[١].

وكان أثناء دراسته لأحوال المجتمعات الإسلامي قد لاحظ أن سبب التراخي والركود فيها يرجع إلى هجر تطبيق التعاليم الدينية في الإسلام[٢].

وهذه الملاحظة الدقيقة تجعلنا أكثر اقتناعًا بان المنهج السلفي كفيل بتحقيق النهضة المرجوة بمشيئة الله تعالى؛ لأن الركيزة الأساسية في السلفية هي العناية بأمرين:

الأول: تصحيح العقيدة لإعادتها إلى رونق التوحيد الخالص بكتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ.

ثانيًا: إحياء تعاليم الإسلام في العبادات والمعاملات وتطبيق شريعته وإزالة التراخي والركود اللذين أصابا المجتمعات الإسلامية عصر الانحدار.

---

(١) أنور الجندي «الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني» (ص:١٨٣).
(٢) نفسه (ص:١٨١).

أيشك عاقل بعد هذا البيان أن هدف السلفية هو إحياء الأمة لتباشر رسالتها، لا إعادة الماضي؟ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠](1).

وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

ومن نافلة القول التأكيد على حث القرآن الكريم على طلب العلم والأخذ بأسباب القوة، إذ عندما نفذّ المسلمون تعاليمه سادوا العالم، ويقول البرت هويده الصحفي السويسري الذي أسلم ١٩٦٠م ولقّب بأحمد رمضان: «حينما تعمقت في قراءة القرآن

---

(١) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها» ابن عبد البر «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١/ ١١) تحقيق علي محمد البجادي - مكتبة نهضة مصر.

دهشت لعصرية القرآن في علاقته بالعلم ففي الإسلام من المستحيل وجود مثل حادث جاليلا، والتعاليم الإسلامية لم تعارض البحـوث العلمية الحديثة ولم تقف في وجه مقتضيات العالم الحديث»[(١)].

ينبغـي إذن في أي مـشروع مـستقبلي العنايـة بتـصحيح عقيـدة الإنسان المسلم، وإلا فما جدوى صياغة الأفكار نظريًا عـلى الـورق في قوالـب ظاهرهـا الـبرّاق، وبـزعم استجابتها للآمـال العريـضة لجماهير المسلمين؟![(٢)].

إن المشروع المقترح بواسطة الـدكتور إسماعيل صـبري عبـد الله يحمل بصمات «الميثاق الوطني» أيام الشيوعية المقنّعة بقناع الاشـتراكية والتي قُيضّت لها وسائل الدعاية الهائلة، فسلبت وعي الجماهير التي لا

---

(١) أنور الجندي «الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإسلامي» (ص:١٣٤).

(٢) يقول الباحث: «وقاد الفريق المركزي لهذا المشروع الراحل الكبير الدكتور إسماعيل صبري عبد الله، واتسعن مجالات البحث في المشروع فغطت البيئة والسكان والغذاء والزراعة والتصنيع والإسكان والمستوطنات البشرية والنقل والاتصـالات والمعلومـاتيـة والتعليم والبحث العلمي وتطوير التكنولوجيـا والمعاملات الاقتصادية الخارجية والطاقة والمياه.

مجلة «مستقبل العالم الإسلامي» (العدد ١٩) ربيع سنة ٢٠٠٩ م (ص: ١٦٠).

حول لها ولا قوة لها، حتى دفعت أديبًا بمكانة الأستاذ توفيق الحكيم -الذي أرّخ لتلك الأيام بكتاب بعنوان «عودة الوعي»!

ولا يهّولنا وصف التفكير المستقبلي بأنه قائم على المنطق والنسق العلمي والإنسان المعرفي! لأن هذا الإنسان ما لم يُربَّ على المنهج الإسلامي الصحيح؛ فإن مصير المشروع المزعوم الفشل الذريع؛ لأن القائمين عليه ستغلب عليهم سلوكيات الطمع والكذب والأنانية والكسب الحرام ونشر الفساد والنهب كما هو مشاهد في واقعنا الأليم.

إن هذا الواقع -وهو مثار شكوانا جميعًا- هو النتيجة الحتمية لنقص التربية، وهجر تعاليم الإسلام الثابتة، مع الجري وراء الدعايات -بأقلام وأجهزة السلطة- التي تحثّ على التغيير الدائم، والتقدم، واللحاق بالعصر تحت شعار المرحلة «القادمة»، التي ظلّت كسراب يحسبه الظمآن ماءً!

ونأتي بشهادة المهتدية للإسلام السيدة مريم جميلة، وهي على علم ودراية بحقيقة الحضارة التي نشأت في أحضانها، ثم ذاقت حلاوة الإيمان وحرصت على نقل تجربتها لإخوانها المسلمين، وأخذت تحذّرهم من

تقليد حضارة العصر، فقالت: «إن فكرة «التغيّر» و«التقدّم» و«التحرّك مع العصر» لنواجه تحدّيات العصر، المتسلطة على عقولنا ليست شيئًا إلا عقيدة عصرية اشتقت من نظرية دارون في التطور، وأدمجت في فلسفة اجتماعية كفكرة مادية عن التاريخ لكارل ماركس، ونحن كمسلمين يجب أن تستحوذ على تفكيرنا **فكرة الخضوع للإرادة الإلهية عن طريق الطاعة التامة للقرآن والسُّنَّة في معانيهما الحرفية السهلة**. فإذا ما استطعنا الحصول على الاستقلال الثقافي فلن يكون هناك ما نخشاه من التطور والارتقاء الاجتماعي الطبيعي التلقائي في إطار قيمنا ومثلنا الإسلامية الخاصة، ولكن ما دمنا عبيدًا للفرنجة، فإن التغير لا يعني شيئًا سوى الهجر المتواصل لقيم الإسلام مقابل نمط العيش الغربي».

ثم تزيل الوهم عن عقول المستغربين المشبعة بفكرة التقدّم الأوروبي، لكي تؤكد أنه ليس «هناك جديد أو تقدّمي في الفرنجة. فبالرغم من العلم والتكنولوجيا والتطوّر الاقتصادي؛ فإن المدنيّة الغربية في مُثُلها لم تتغير منذ عصر بركليس قبل ٢٥٠٠ سنة تقريبًا»![١].

---

(١) المهتدية مريم جميلة «الإسلام في النظرية والتطبيق» (ص:٢٥٦) ترجمة س. حمد - مكتبة الفلاح - الكويت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

المبحث الثاني: ضرورة المنهج السلفي لقيام نهضة إسلامية جديدة:

نعود فنعذر هذه الفئة من الباحثين بالجهل، ونأمل رجوعهم إلى الحق بعد عرضنا أدلة سلامة المنهج السلفي، ونضيف هاهنا أن أتباعه لم يشذّوا عن السُّنَّة الجارية في تعليل قيام الحضارات ونهضتها.

واختصارًا للجهد نعرض لبعض ملامح حضارة الغرب التي يرون أنها المثل الأعلى الواجب اتباعه، فقد تميزت هذه الحضارة بميزتين:

الأولى: اعتزازها بتراثها والمحافظة عليه عبر الأجيال حتى العصر الحديث، ولم تهجره بزعم اللحاق بالعصر.

الثانية: ظلت مخلصة لتصورها للنظام السياسي الذي كان مطبّقًا في عصر الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

أولًا: لم تنحصر النهضة في الغرب إلا بعد إحياء تراثه الفلسفي والعلمي ونظامه السياسي، فقاموا بالعكوف على مؤلفات أفلاطون وأرسطو وغيرهما

من الكتّاب اليونان الأقدمين للإفادة منها في قيام النهضة[(١)].

يقول برتراند راسل: «ولقد عرف الغرب أرسطو عن طريق اتصاله بالمسلمين في أسبانيا، ثم اتصاله بهم بدرجة أقل في صقلية، وهذا الاتصال نفسه هو الذي أحاط الغرب علمًا كذلك بالأعداد العربية والجبر والكيمياء، هذا الاتصال هو الذي كان الخطوة الأولى في إحياء العلوم إبان القرن الحادي عشر، ذلك الإحياء الذي انتهى إلى الفلسفة الاسكولائية، ولم يحدث إلا في عهد متأخر، أعني من القرن الثاني عشر فصاعدًا، أن تمكن الناس بفضل دراستهم لليونانية أن يقصدوا مباشرة إلى مؤلفات أفلاطون وأرسطو وغيرها من الكتاب اليونان الأقدمين؛ فإن لم يكن العرب قد احتفظوا بالتراث جاز ألا يتنبه رجال النضهة إلى أهمية ما يمكن استفادته من إحياء العلوم القديمة»[(٢)].

---

(١) يقول ديورانت مصورًا أثر كتاب «الجمهورية» لأفلاطون: «ستبقى المحاورات الأفلاطونية أهم المحاروات الثمينة في العالم... ويسجل أثر فلسفته في الفلاسفة المحدثين». ديورانت «قصة الفلسفة».

(٢) برتراند راسل «تاريخ الفلسفة الغربية» الكتاب الأول (ص:٤٤٨) ترجمة د/ ذكي نجيب محمود - راجعه د/ أحمد أمين - لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٩٦٧م.

ويقول ديورانت: «وفي القرن الثالث عشر تحرك العالم المسيحي وتنبه بما ترجمه العرب واليهود عن فلسفة أرطو»[١].

لم يهجر الغرب إذن تراثه ولم يهمله خشية اتهامه «بالرجوع إلى الوراء» أو وصفه «بالماضوية» بل ظل مخلصًا له، ولا نعود فنكرر تأثر بعض الفلاسفة المحدثين هناك بمحاورات أفلاطون، ودورانهم حول فلسفته، تقول مريم جميلة المهتدية للإسلام: «إن الفلسفة اليونانية القديمة لا تختلف مطلقًا اختلافًا أساسيًا عن الفلسفة المادية المعاصرة، وما الأخيرة إلا تطورًا أبعد لسابقتها»[٢].

- **ثانيًا:** شمل امتداد أثر النظام السياسي منذ عصر الإمبراطورية الرومانية المقدسة إلى الآن.

وقد يُفاجأ القارئ إذا علم أن «العولمة» التي نعيش في ظلها هو الحلم الغربي يتجددّ منذ الرومان ونعني بها كنموذج «وحيد لحضارة

---

(١) ول ديورانت «قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون دجوي» (ص:١٣٣) - ترجمة فتح الله محمد المشعشع - مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٥م.

(٢) مريم جميلة «الإسلام في النظرية والتطبيق» مكتبة الفلاح بالكويت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

وحيدة تحق لها الهيمنة على الوجود والفكر»[١].

ويدندن فوكوياما حول نفس التصور، إذ أنه بكتابه «نهاية التاريخ والإنسان الإخير» حيث رأى أن: «الانتصار على الاتحاد السوفيتي رمز الديكتاتورية والظلامية يمثل ذروة التاريخ أو منتهى تطوره. وبذلك فازت الديمقراطية الليبرالية فوزها الساحق والأخير وتحددت مصائر الإنسانية بشكل نهائي. ومن البديهي مادام الأمر كذلك، أن تقود الولايات المتحدة محاكم الحرية هذا في السلام واقتصاد السوق والديمقراطية، كما قادته في الحرب الباردة»[٢].

وقد أرّخ الفيلسوف البريطاني برتراند راسل لبدايات هذا النظام السياسي الذي يهدف إلى إخضاع العالم لنظام واحد، وأرجعه إلى «الرواقيين المتأخرين» في العصر اليوناني. قال: «فشمول تشريع واحد في أرجاء الأرض كلها، مبدأ أخذته «الكنسية» من الرواقيين المتأخرين، وإنما صادف هذا المبدأ ما صادفه من قبول؛ بسبب ما كان للإمبراطورية

---

(١) د/ سعيد بن سعيد العلوي، مقال بعنوان «صدام الحضارات أم حوار الثقافات» (ص:٥) – مجلة «مستقبل العالم الإسلامي» – مالطا ربيع ٢٠٠٩م.

(٢) رضوان السيد، مقال بعنوان «الإسلام في العلاقات الدولية المعاصرة» (ص:٢١) مجلة «مستقبل العالم الإسلامي» – مالطا– ربيع ٢٠٠٩م.

الرومانية من عالمية ظاهرة، فكانت الكنيسة «الإمبراطورية الرومانية المقدسة» خلال العصور الوسطى كلها، بعد عصر شرلمان يشملان العالم كله، من الوجهة النظرية، على الرغم من أن كل إنسان كان يعلم أنهما لم يكونا كذلك في الواقع، ومنذ حققت روما للناس على وجه التقريب فكرة قيام أسرة إنسانية واحدة وديانة كاثوليكية واحدة، وثقافة عالمية واحدة، ودولة واحدة تشمل الأرض كلها» ويختم راسل هذا التاريخ بقوله: «ومازالت تلك الفكرة تعاود الرؤوس حتى اليوم»[١].

وكان قد عرض هذا البحث تحت عنوان «توحيد الحكومة والثقافة» معلنًا اعتزازه بآثار العصر العظيم لليونان والإسكندر وروما، فقال بالحرف الواحد: «لئن كنا قد احتفظنا بآثار ما أنتجه العصر العظيم في اليونان، فلم نفقدها كما فقدنا آثار العصر المينوي، فإنما نحن مدينون في ذلك للإسكندر أولًا، ثم روما»[٢].

أرأيتم كيف يعتزّون بآثارهم العتيقة، وقوّادهم، وحضارتهم الموغلة في القدم ؟!

---

(١) راسل «تاريخ الفلسفة الغربية» الكتاب الأول (ص:٤٤٦).
(٢) نفسه (ص:٤٤٥).

الفصل الرابع

أين موقع حضارتنا من العصر ؟

نرى الاستفادة مما انتهى إليه توينبي بعد أن أفنى عمره في دراسة تاريخ ثلاثين حضارة حيث استخلص منها أن هناك ست حضارات مازالت قائمة كمجتمعات حيّة، منها الحضارة الإسلامية[١]، ولكنه بالموازنة بين أحوال المسلمين في عصور الازدهار وبين الواقع المعاصر، يتضح أن المسلمين في جملتهم صاروا حجابًا دون نوره حسب تعليل الإمام محمد رشيد رضا[٢].

ويعلل الإمام سوء خال المسلمين في هذه القرون الأخيرة بفساد حكوماتهم وشعوبهم، واستحواذ الجهل عليهم بحقيقة دينهم ومصالح دنياهم «حتى صاروا حجّة لأعدائهم فيها على أنه لا خير

---

(١) نفسه (ص:١١).

(٢) الإمام محمد رشيد رضا «الوحي المحمدي ثبوت النبوة بالقرآن - ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام - دين الأخوة الإنسانية والسلام» (ص:٢٧١) - مكتبة القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

فيهم ولا في دينهم، وأمكن هـؤلاء الأعـداء أن يفتنـوا بهـذه الحجـة الداحضة أكثر من يتخرج في مدارسهم السياسية الإلحادية، والدينية التنصيرية»[١].

وكـان مـن مهـام الإمـام رشـيد رضـا إيقـاظ الأمـة الإسـلامية والنهوض بها من جديد لأن رسول الله ﷺ ترك فيهـا كتـاب الله ﷻ وسنته ﷺ.

وكما دلّنا التاريخ أنه ﷺ ربّـى أمّـة في «عـشر سـنين أو عـشرين، فجعلهـا أهـلًا لفـتح الأمـصار، والـسيادة عـلى الأمـم الحـضرية، وسياستها بالعدل والرحمة، وتحويلها عن أديانهـا ولغاتهـا بالاقتنـاع وحسن القدوة»[٢].

فما المـانع مـن إصـلاح الأمّـة في عـصرنا الحـاضر كـما حـدث في عصورها الأولى التي ظلّت مزدهرة لعدة قرون بـنفس التعـاليم التـي انتشلتها من حضيض الجاهلية لترتفع إلى المستوى الحضاري الرفيع؟

---

(١) نفسه (ص:١٩-٢٠).
(٢) نفسه (ص:٥٦٧).

ويقول الإمام رشيد رضا: «فعلم من هذا أن المسلمين لا يمكن أن تعود إليهم الحياة إلا بمثل ما بدأت به سلفهم من روح القرآن وهدي الرسول ﷺ كما قال الإمام مالك: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»[(١)].

ولإحاطته العميقة بالإسلام كدين وحضارة، واطّلاعه الواسع على الأديان الأخرى ومعرفة مصادرها وطقوسها، أجمل مزايا الإسلام بعبارة جامعة؛ فإن الإسلام «دين الفطرة السليمة، والعقل والفكر، والعلم والحكمة، والبرهان والحجة، والضمير والوجدان، والحرية والاستقلال»[(٢)]. وسنعرض بإيجاز لكل مزية على حدة:

الإسلام دين الفطرة:

قل الله ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

---

(١) نفسه (ص: ١٠).

(٢) نفسه (ص: ١٧٩).

وفطرة الله التي فطر النّاس عليها الجبلة الإنسانية -أي: الطبيعة والخليقة والغريزة- الجامعة بين الحياتين الجسمانية الحيوانية والروحانية الملكية، والاستعداد لمعرفة عالم الشهادة وعالم الغيب.

هذا أصل دين الفطرة الغريزي في البشر، لا ما زعمه بعض الكتّاب المعاصرين من أن دين الفطرة في الآية الكريمة أن يعمل متبعًا شعوره وأفكاره ووجدانه بمقتضى طبيعته دون تلقّي شيء من غيره، فهذا جهل لا يقرّه دين ولا عقل، وفوضى لا يستقيم معها أمر.

وفي معنى كون الإسلام دين الفطرة، أنه شرّع لتكميل استعداد البشر للرقيّ في العلم والحكمة، ومعرفة الله ﷻ المعدّة إياهم لسعادة الآخرة، فليس فيه شيء يصادمها[1].

قد كان دين الله الذي بعث به جميع رسله لجميع الأمم مصلحًا لما أفسدته الوثنية من فطرتهم بجهلهم ثم بتقليد بعضهم لبعض؛ بل إنهم كانوا إذا طال الأمد على بعثة الرسل يضلون عن هدايتهم إلى

---

(١) نفسه (ص: ١٨١).

أن أتم الله الدين وأكلمه للبشر كما تقدم بيانه في المقصدين الأول والثاني من مقاصد القرآن. وفي حديث الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ مولودٍ يُولد على الفِطْرة فأبواه يُهَوِّدانِهِ أو يُنَصِّرانِهِ» بيّن أنّهما يفسدان فطرته الاستعدادية بتلقينه دينًا محرفًا منسوخًا بدلًا من إكمالها.

وكان من فضل الله على عباده بعد إكماله دينه أن ضمن لهم حفظ كتابه هذا من التحريف والتبديل والنسيان والزيادة والنقصان، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، وعصم أمة خاتم النبيين ﷺ أن تضل كلها عنه، كما ضلت الأمم قبلهم، فإن كان ﷺ قد أخبر بما أطلعه الله عليه من مستقبلها أنهم سيتبعون سنن من قبلهم من اليهود والنصارى فقد أخبر أيضًا بأنه لابد أن يبقى بعضهم على الحق ليكونوا حجة الله على خلقه فقال ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظاهرون»[١]، وفي رواية لهم عن معاوية رضي الله عنه: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ

(١) رواه أحمد، والبخاري.

الله لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»، ورواه مسلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ إلى قيام الساعة»[1]، ورواه مسلم من حديث جابر بن سمرة مرفوعًا: « لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ »، وروى آخرون من طرق ضعيفة يقوي بعضها بعضًا أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة والحمد لله[2].

٢- الإسلام دين العقل والفكر:

تقرأ قاموس الكتاب المقدس فلا تجد فيه كلمة «العقل» ولا في معناها من أسماء هذه الغريزة البشرية التي فضّل الإنسان بها جميع أنواع هذا الجنس الحي كاللب والنُّهى، لا لأن هذه المادة لم تذكر في كتب العهدين مطلقًا، بل لأنها لم ترد فيه أساسًا لفهم الدين ودلائله والاعتبار به، ولا أن الخطاب بالدين موجّه إليه، وقائم به وعليه، وكذلك أسماء التفكّر

---

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن ثوبان.

(٢) نفسه (ص:١٨٢).

والتدبّر والنظر في الكون التي هي أعظم وظائف العقل.

أما ذكر العقل باسمه وأفعاله في القرآن الحكيم فبلغ زهاء خمسين مرة، وأما ذكر أولي الألباب -أي: العقول- ففي بضع عشرة مرة، وأما كلمة أولي النُّهى -أي: العقول- فقد جاءت مرتين في سورة طه[1].

كذلك آيات النظر العقلي والتفكر كثيرة في الكتاب العزيز، فمن تأملها علم أن أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكر والعقل والتدبر، وأن الغافلين الذين يعيشون كالأنعام لا حظ لهم منه إلا الظواهر التقليدية التي لا تزكّي الأنفس ولا تُثقّف العقول، ولا تصعد بها في معارج الكمال، بعرفان ذي الجلال والجمال، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ:٤٦]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ [الروم:٨]،

(١) الأولى في الآية (٥٤) قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾، والثانية في الآية (١٢٨) قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾.

وقوله في صفات العقلاء أولي الألباب: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩١]، وقوله بعد نفي علم الغيب والتصرف في خزائن الأرض عن الرسول ﷺ وحصر وظيفته في اتباع الوحي: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠]. وقد صرح بعض حكماء الغرب، بما لا يختلف فيه عاقلان في الأرض، من أن التفكر هو مبدأ ارتقاء البشر، وبقدر جودته يكون تفاضلهم فيه.

كانت التقاليد الدينية حجرت حرية التفكر واستقلال العقل على البشر، حتى جاء الإسلام فأبطل بكتابه هذا الحجر، وأعتقهم من هذا الرق، وقد تعلم هذه الحرية أمم الغرب من المسلمين، ثم نكس هؤلاء المسلمون على رءوسهم فحرموها على أنفسهم؛ إلا قليلًا منهم حتى عاد بعضهم يقلدون فيها من أخذوها عن أجدادهم، وقد اعترف علماء الغرب لعلماء سلفنا بسبقهم وإمامتهم لهم فيها وفي ثمراتها، ونقل شيخنا الأستاذ الإمام من أقوالهم في كتاب الإسلام والنصرانية[1].

---

(١) نفسه (ص:١٨٤).

٢- الإسلام دين العلم والحكمة والفقه:

ذكر العلم معرفة ونكرة في عشرات من آيات القرآن الحكيم تناهز المئة، وذكرت مشتقاته أضعاف ذلك، وهو يطلق عل علوم الدين والدنيا بأنواعها، فمن العلم المطلق قوله تعالى في وصايا سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، أي: لا تتبع ما ليس لك به علم يثبت عندك بالرؤية البصرية، أو بالروايات السمعية، أو بالبراهين القطعية؛ فإن الله يسألك عما أعطاك من آلات هذا العلم الثلاث.

قال الراغب في تفسير ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ أي: «لا تحكم بالقيافة والظن»، وقال البيضاوي ما ملخصه: «ولا تتبع ما لم يتعلق به علمك تقليدًا أو رجمًا بالغيب». اهـ.

ومنه قوله تعالى في العلم المأثور في التاريخ: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف:٤]، ومنه قوله تعالى في علوم البشر المادية: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم:٦، ٤]، إلخ. وقوله في العلم

الروحي: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

وهاتان الآيتان في بيان ضعف علم البشر وقلّته حتى العلم الدنيوي منه لا يزال يتعرف العلماء أيهم أوسع علمًا، وبأن علمهم لا يتجاوز الظواهر، وقد صرّح بعض فحول علماء الغرب بأنهم كلّما ازدادوا علمًا علموا من حاجتهم إلى تحقيق ما سبق والزيادة عليه ما لم يكونوا يعلمون كما قال الإمام الشافعي:

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي

وإذا ما ازددت علمًا زادني علمًا بجهلي

وقوله تعالى في العلم العقلي: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج:٨]، الظاهر أن المراد بالعلم فيه العلم النظري بدليل مقابلته بالهدي والكتاب المنير، وهو هدي الدين والوحي، وقوله في العلم الطبيعي: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم:٢٢]

بكسر اللام أي علماء الكون ومثله قوله بعد ذكر إخراج الثمرات المختلف ألوانها من ماء المطر واختلاف ألوان الطرائق في الجبال وألوان الناس والدواب ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، فالمراد بالعلماء هنا الذين يعلمون أسرار الكون وأطواره وأسباب اختلاف أجناسه وأنواعه وألوانها وآيات الله وحكمه فيها، وهو يشمل أكثر العلوم والفنون أو جميعها، وفي معناها آيات في سور أخرى[١].

وإذا كان الإسلام دين العقل والبرهان وحرية الضمير والوجدان. فقد أبطل ما كان عليه النصارى وغيرهم من الإكراه في الدين والإجبار عليه، والفتنة والاضطهاد لمخالفيهم فيه. والآيات في ذلك كثيرة بيّناها في محلها، ومن دلائلها ذم القرآن للتقليد وتضليل أهله.

٦- منع التقليد والجمود على اتباع الآباء والجود:

كل ما نزل من الآيات في مدح العلم وفضله واليقين فيه واستقلال العقل والفكر وحرية الوجدان، والمطالبة بالبرهان، وذم

---

(١) نفسه (ص:١٨٥).

اتباع الظن والحرص فيما يطلب فيه الإيمان والعلم يدل على ذم التقليد، وقد ورد في ذمه والنعي على أهله آيات كثيرة كقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٤]، ذمهم من ناحيتين، إحداهما: الجمود على ما كان عليه آباؤهم والاكتفاء به عن الترقي في العلم والعمل[١]، وليس هذا من شأن الإنسان الحي العاقل فإن الحياة تقتضي النمو والتوليد، والعقل يطلب المزيد والتجديد.

والثانية: أنهم باتباعهم لآبائهم قد فقدوا مزية البشر في التمييز بين الحق والباطل والخير والشر، والحسن والقبيح، بطريق العقل والعلم وطريق الاهتداء في العلم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ

---

(١) نفسه (ص:١٩٠).

بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٨]، وقال تعالى في عبادة العرب للملائكة: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ۝٢٠ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ۝٢١ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ۝٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾

[الزخرف:٢٠-٢٣].

فالقرآن قد جاء يهدي جميع متبعي الملل والأديان السابقة إلى استعمال عقولهم مع ضمائرهم للوصول إلى العلم والهدى والاطمئنان في الدين.

وبهذا العلم والهدى امتاز الإسلام ودخل فيه العقلاء من جميع الأمم أفواجًا، ثم نكس المسلمون على رءوسهم إلا قليلًا منهم، واتبعوا سنن من قبلهم من أهل الكتاب وغيرهم في التقليد لآبائهم ومشايخهم المنسوبين إلى بعض أئمة علمائهم، الذين نهوهم عن التقليد ولم يأمروهم به[١].

---

(١) نفسه (ص:١٩١).

٧- الحرية الشخصية في الدين بمنع الإكراه والاضطهاد ورياسة السيطرة:

هذه المزية من مزايا الإسلام وهي نتيجة المزايا التي بينا بها كونه دين الفطرة فأما منع الإكراه فيه وعليه فالأصل فيه قوله تعالى لرسوله ﷺ بمكة: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:٩٩-١٠١]، علم الله تعالى رسوله ﷺ بهذه الآيات أن من سننه في البشر أن تختلف عقولهم وأفكارهم في فهم الدين وتتفاوت أنظارهم في الآيات الدالة عليه فيؤمن بعض ويكفر بعض، فما كان يتمناه ﷺ من إيمان جميع الناس مخالف لمقتضى مشيئته تعالى في اختلاف استعداد الناس للإيمان، وهو منوط باستعمال عقولهم وأنظارهم في آيات الله في خلقه، والتمييز بين هداية الدين وضلالة الكفر[1].

---

(١) راجع تفسير هذه الآيات من آخر سورة يونس في «تفسير المنار».

ثم قوله تعالى له عندما أراد أصحابه أخذ من كان بني النضير من أولادهم عند إجلائهم عن الحجاز وكان تهود بعضهم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، فأمرهم ﷺ أن يخيروهم فمن اختار اليهود أجلى مع اليهود ولا يكره على الإسلام، ومن اختار الإسلام بقي مع المسلمين[١].

وانطلاقًا من دراسته العميقة للأديان، وإحاطته بحضارة العصر بمزاياها ومساوئها، فإن الإمام رشيد رضا ينتهز فرصة الحديث عن الإسلام كدين، ويبين أيضًا ما تميزت به حضارته في المساواة بين البشر، وطابعها الإنساني بلا عنصرية أو عصبية قومية، وهي آفة أوروبا التي كانت سبب الحرب، فإن ألمانيا أُعجبت بعصبيتها القومية فأدت إلى جحيم الحرب العالمية الأولى، فأخسرت أوروبا عشرين مليونًا من الرجال، وألوف الملايين من الأموال.

أما الجامعة الإنسانية التي تلغي العنصرية من مجتمعاتها فلا سبيل

(١) نفسه (ص: ١٩٣).

إليها إلا بهداية الإسلام «ولو اهتدت به أوروبا اليوم لزالت أضغانها ووجهّت علومها وفنونها إلى إسعاد البشرية وعمارة الأرض كلها، فإن إصرار الإفرنج على الكبرياء بجلدتهم البيضاء واحتقارهم للسود والحمر والسمر والصفر وهضمهم لحقوقهم، واستباحتهم لظلمهم، لمن أكبر العار على حضارتهم»[1].

وطالما ظهرت الميزة لعقائد الإسلام وقواعد تشريعه وأصول إصلاحه الديني والاجتماعي والمالي والسياسي، فإن الإمام رشيد رضا يجاهر بصوت التحدّي لحضارة أوربا فيقول: «ونحن المسلمين نتحدّى الفلاسفة والمؤرخين في جميع الأمم، ولاسيما أحرار الإفرانج بأن يأتوا بمثلها أو بما يقرب منها»[2].

ويشاركه الرأي الإمام الندوي رحمه الله إذ يرى بأنه بالرغم مما أصاب المجتمع الشرقي الإسلامي من انحطاط في الأخلاق والاجتماع، فإنه على علاّته لم يزل محتفظًا ببعض المبادئ الخلقية السامية

---

(١) «الوحي المحمدي» رشيد رضا (ص:٢٠٢).

(٢) نفسه (٢٦٥).

والخصائص الاجتماعية الفاضلة التي لا يوجد لها مثيل في الأمم»[1].

(١) أبو الحسن الندوي «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» (ص:٢٤٦) دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧ - ١٩٦٧م، ويضيف: «وقد نضج واكتمل فن الأخلاق عند الشرقيين ووصل من الدقة والتفصيل واللطافة ورقة الحواشي ذروة لا يصل إليها ذهن العصر، ولا يتصورها الغربي إلّا في الشعر والأدب».

الفصل الخامس
تحصين الهويّة الإسلامية(١)
إزاء حملات التغريب وأزمات العصر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن هذا البحث ليس محاولة لإعطاء فكرة كاملة عن «ثقافة المسلم المعاصر» فحسب، وإنما لتحقيق بعض أهم الأهداف المتصلة بالموضوع، وهي:

أولاً: تحقيق الذات في مشروع النهضة الإسلامية المعاصرة:

ويتطلب ذلك توجيه العناية إلى الأولويات في مشروع النهضة الإسلامية المعاصرة مع مجابهة التحديات التي تحاصر الأمة الإسلامية، وذلك عن اقتناع بالرأي القائل بأن «جوهر التحديث هو تحقيق الذات بالمعنى الحضاري... ويتحقق بتوظيف طاقة الإيمان

(١) هو مضمون مقالة نُشرت بكتابنا «أضواء على ثقافة المسلم المعاصر».
ط. دار الدعوة - محرم بك - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

والانتماء الحضاري، وإيقاظ القوي الموحدة في النسيج الاجتماعي الحضاري للمجتمع»[١] بل للأمة أيضا، فإن العالم الإسلامي لا يشعر بوحدته إلا بالإسلام[٢].

يؤيد ذلك التجربة التاريخية الواقعية التي تشع بالدليل أمام دارس الحضارات إذ قامت الحضارة الإسلامية في رقعة موزعة:

حدّها الشمالي مدينة الرها، والجنوبي سوريا وفلسطين، وتحد من الشرق بالمنطقة التي سيطرت عليها المزدكية... وفى أقصى الجنوب تحدّ بتلك البيئة التي ستكون مهد الإسلام، وأخيرا في تقصى الشمال تقع مدينة بيزنطة...«هذا العالم المختلط المشتت المتشعب الأطراف لم يستطع أن يشعر بوحدته إلا على يد الإسلام».

وفى ضوء هذه الحقيقة، ينبغي على المسلم المعاصر أن يوقن بإمكان ازدهار حضارته من جديد بالرغم من أحوال الأمة السيئة.

---

(١) مقال «التكنولوجيا والتنمية من منظور حضاري» بقلم د/ حامد إبراهيم الموصلي (ص:١٥١) بمجلة «منبر الشرق» - الصادرة عن المركز العربي الإسلامي للدراسات بالقاهرة - ربيع أول ١٤١٤هـ - سبتمبر ١٩٩٣م.

(٢) أشبنجلر، د/ عبد الرحمن بدوي (ص:١١٩) مكتبة النهضة بالقاهرة ١٩٤٥م.

يقول الكاتب السويسري للإسلام «روجيه باسكوبه»: «أظهر العالم الإسلامي جمودا باعثًا على الأسى في مقابل المد الأوروبي في كل المجالات، ولكن مهما أصبحت «الشعوب الإسلامية» خاملة ناعسة، فإنها بقيت مخلصة للإسلام... فقدت بكل تأكيد المفاتيح الدنيوية، ولكن احتفظت بمفاتيح السماء»[١]. ويعلل ذلك بأن الثقافة الإسلامية تمتاز عن غيرها من الثقافات بأنها نبعت مباشرة من التنزيل «أي: من الحقيقة الخالدة السامية، وليس من تأملات أو اجتهادات الفلاسفة والمفكرين»[٢].

ثانيًا: تحصين الهوية الإسلامية إزاء حملات التغريب وأزمات العصر:

يطول الحديث عن حملات التغريب -أو الغزو الفكري- ولكننا نلخصه من حيث آثاره في الإنسان من جهتين:

١ -ما يطلق عليه «غسيل المخ» وهو حسب تعريف الدكتور

---

(١) «إظهار الإسلام» روجيه دوباسكويه (ص:١٥٢، ١٥٣) درا الشروق القاهرة ١٩٩٤م.
(٢) نفسه (ص:١٣٤).

زكى نجيب محمود أن: «يتحكم مـن أراد أن يـتحكم في تفريـغ مـخ الإنسان من محتواه... لتعبئتـه بمحتـوى آخـر وفي تـشكيل سـلوكه بعبارات جديدة غير عادته السابقة»[1]، وكان يحـدث ذلـك لأسرى الحرب وهو ما يحدث شيء منه بطريق الدعاية ووسائل الإعلام.

٢- شحن الإنسان بالشحنة الفكرية السلوكية:

وما نقصده بالعصر: الحضارة التي تسوده -فإنه عـصر متغـرّب، كذلك ما يتعاقب فيه من وقائع وأحداث سـلمًا وحربًـا، ومـا تنتجـه قرائح علمائه وفلاسفته من مـذاهب ونظريـات في ميادين الـسياسة والاجتماع والاقتصاد والتربيـة والأخـلاق والآداب والفنـون ومـا تظهـر فيـه الاكتـشافات المتواليـة في مجـالات الطـب والزراعـة والـصناعات وعلـوم الفـضاء، وكـذلك آثـار علاقـات الـدول ومنافساتها وحروبها، وما أصاب الأمة الإسلامية من محن وكـوارث وأزمات، وتداعيات. ذلك كله على المـسلم المعـاصر، فـإن «الأزمـة التي تأخذ بخنـاق العـالم الإسـلامي والعـربي بجوانبهـا الـسياسية

---

(١) «عن الحرية أتحدث» د/ زكي نجيب محمود - درا الشروق ١٩٨٦م.

والاقتصادية والثقافية والفكرية والاجتماعية جعلت الناس أكثر اتجاهًا لدينهم يستلهمونه الحلول»[١].

وفي ظل التقدم المتواصل في وسائل الاتصال اليوم، أصبحت اليد الطولى في عصرنا للأعلى صوتًا، لا للأقوى حجة، بفعل أجهزة الإعلام الجبَّارة التي لم يعرف لها العالم مثيلًا من قبل، وأصبح في قدرة من يمكلها فرض ثقافته على الآخرين في ظل ما يسمى «بالعولمة». ويصف الكاتب الفرنسي «لاتوش» ما يسميه «بالعولمة المباشرة» بأنها تتجاوز «النزعة القومية»، ويصفها بأنها «تشكل التدفقات الإعلامية بواسطة الأقمار الصناعية للاتصالات البعيدة وتقنية معالجة المعلومات بالكمبيوتر تشكل رغبات وحاجات وأشكال سلوك وعقليات ونظم تعليم وأنماط حياة المتقبلين، وينتج عنها -وهذا ما يعنينا هنا ببحثنا- «فقدان الهوية الثقافية المؤكد، كما يسهم في زعزعة الهوية القومية سياسيًا واقتصاديًا، وحتى ما يتبقى

---

(١) من مقدمة كتاب «فكر المسلم المعاصر، ما الذي يشغله؟» ح١ -مطابع الأهرام بالقاهرة ١٩٩٢م.

من الإبداعية القومية، يجد نفسه في حالة تبعية إزاء ثقافة أجنبية».

ويأتي وصف جاك إلول لهذا الواقع أكثر صراحة وصدقًا، فيقول: «بفضل أروع وسائل النشر الممكنة، يجري اليوم نشر ثقافة يمكن القول عنها في أفضل الأحوال أنها غياب للثقافة، وتم انتهاجها عشوائيًا»[(١)]، ويؤكد ذلك أيضًا الدكتور -مراد هوفمان: «فقد ربح الغرب سباق الإعلام من زمان، ليعرض أفكاره على المسلمين بالجملة، ويتحكم في حياتهم كالطاعون»[(٢)].

وهل نشك بعد هذا التحليل الواقعي الصريح الذي نلمس آثاره ليل نهار، هل نشك بأن الغزو الثقافي هو فعلًا -كما وصفه د. حامد ربيع- حرب فكرية؟

ولكن؛ ماذا أعددنا لها؟ وماذا فعلنا لكي نجعل المسلم المعاصر يصمد في هذه الحرب؟ يقول الدكتور حامد ربيع: «وككل صراع، فإن

(١) «تغريب العالم» سيرج لاتوش، ترجمة خليل طلعت دار العالم الثالث بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث قسم الترجمة بالقاهرة ١٩٨٣م.

(٢) «الإسلام عام ٢٠٠٠».

المقاومة تفترض من جانب التقوية الذاتية لأنه طالما أن الجسد المصارع ضعيف، فإن أي صدمة من الخارج قادرة على أن تنال منه، ومن جانب آخر، علينا أن نتذكر أن خير وسيلة للدفاع هي البدء بالهجوم»[١].

إن أول أسلحة الصمود -أو المحافظة على الذاتية- يتحقق بتنفيذ تعاليم الآيات والأحاديث التي تكاد تفوق الحصر -هي الاستمساك بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ.

أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[٢].

ونعود إلى اقتراح الدكتور حامد ربيع «خير وسيلة للدفاع هي البدء بالهجوم؛ فإنه لا يقصد الهجوم العسكري في ساحات القتال قطعًا، ولكنه في هذا المجال الثقافي -تأكيد الثقة في النفس حتى تتحول

---

(١) «الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإدارة التكامل القومي» د/ حامد ربيع (ص:٣٢) دار الموقف العربي القاهرة ١٩٨٣م.

(٢) نقلًا عن «الاعتصام» للإمام الشاطبي ج١ (ص:٦٨) تحقيق الشيخ رشيد رضا - دار المعرفة ببيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

من حالة «القابلية للاستعمار» التي حذَّر منها الأستاذ/ مالك بن نبـي، إلى حالة إيجابية -كأنها تأخذ المبادرة بـالهجوم وذلكـم بمعرفـة أوجـه النقص في هذه الحضارة وأزماتها- هذا هو السلاح الأول.

أما السلاح الثاني فإنه بمقدورنا -لو فهمنا تراثنا حـق الفهـم- أن نؤدي درونا كما يرى د. ذكي نجيب محمود في بناء الحضارة المعاصرة:

١ - وأول الأسلحة الهجومية في تلك المعركة الثقافية هي معرفـة الوجه الآخر للحضارة المعاصرة، أي الأزمات الخانقة التـي تعانيهـا بشهادة علمائها وفلاسفتها الحريـصين عـلى بقائهـا، فقـد جمعـت د/ أدريين كوخ -أسـتاذة التـاريخ بجامعـة كاليفورينـا آراء بعـضهم في كتابها بعنوان «آراء فلسفية في أزمـة العـصر»، وسـجلت انزعاجهـا الشديد بالمقدمة فكتبت «هـذا القـرن الفظيـع: مـن ذا الـذي يتـدبر مسيره وتاريخه ولا يحكم عليه بالفظاعـة؟! ومـن ذا الـذي ينكـر أن الثقة التي كانت تملأ نفوسًا عن مطلعه قد زالت من النفوس؟»، ثـم تستطرد في كلام طويل منتهية إلى وصف الأزمة بأنها أعمق وأوسـع انتشارًا من أية أزمة أخرى عرفها تاريخ الإنسان، لأنها أزمة الوجود

البشري ذاته»[١].

وقد أجاد هايدجر -عميد فلاسفة القرن العشرين- في وصف حال هذا العصر «بأنه عصر يبدو كقصر شامخ في منظر كئيب، سادته يعانون من الأرق والملل والقلق وخدامه يقاسون من المرض والجهل والجوع»[٢].

٢- دورنا في الإسهام في بناء حضارة العصر:

قبل الحديث عن الإسهام في حضارة العصر، سنمهد بكلمة عن العصر وعلاقته به عند الدكتور زكي نجيب محمود. إذ يرى أن «العصر» ليس شيئًا محددًا، وإنما هو خضم من الأحداث والكائنات، وإذا ما تسألنا: ما هي ثقافة العصر التي نواجهها أو لا نواجهها؟

بإجابته على السؤال يضرب مثالًا لحدث ضخم كإطلاق

---

(١) «آراء فلسفية في أزمة العصر» أدريين كوخ (ص:١٥) ترجمة محمود محمود - مكتبة الأنجلو المصرية سبتمبر ١٩٦٣م.

(٢) (ص:٥٥) بكتاب «د. رشدي فكار في حوار متواصل حول: مشاكل العصر» إعداد خميس البكري - مكتبة وهبة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

الصواريخ التي تغزو الفضاء، ولكن الضجة التي يُحدثها تكاد لا تكون جزءًا من ثقافة عصرنا نحن، ثم يستطرد قائلًا: «هو إقحام إسرائيل على أرضنا، وانظر بأي معنى وإلى أي مدى قد دخل هذا الجانب من الاستعمار الذي هو من علامات العصر في دنيانا الثقافية، بحيث لم يعد منا واحد يستطيع أن يغض عنه النظر»[1].

وبعد هذا التمهيد، حدد نقطة البداية بيد العالم العربي الحديث وحضارة العصر «بمجيء هذه الحضارة غازية غالبة متسلّطة»[2].

وتحت عنوان «موقف العرب من المذاهب الفلسفية المعاصرة» يطوف بنا فيلسوفنا الأديب باتجاهات الفلسفة ليسوقنا إلى نتيجتين هما «أن الفكر وعمليات التغيير وجهان لشيء واحد»[3].

«وهو الدرس الذي نتعلمه من مذاهب الفلسفة المعاصرة جميعًا، وذلك وحده جواز المرور الذي لا يمكنك الدخول في أجواء هذا

---

(١) «ثقافتنا في مواجهة العصر» د/ زكي نجيب محمود.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

العصر إلا به»[١].

ويقرر في نهاية البحث أن هذا الذي يتطلبه منا العـصر هـو نفسه الذي ورثناه من مبادئ تراثنا الفكري «إن القرآن الكريم كلما وجه الخطـاب إلى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أضـاف إلى ذلـك قولـه: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ كـأن الإيـمان لا يكـون إيمانًـا كـاملًا إلا إذا اقترن بالعمل الصالح»[٢].

لذلك يشترط لكي تجدي المبادئ، أن تربط القـول بالعمـل، وعندئـذ «ننخرط في تيار عصرنا، وفي الوقت نفسه نلتزم ميراثًا كريمًا ورثناه»[٣].

أما عن سلبيات العصر ومساوئه؛ فإنه «بشهادة رجال الفكـر أجمعـين -إنه عصر أدى بشبابه إلى حالة من التمزق والتفسخ والضياع»[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

فما هو دورنا إزاء أزمة العصر؟

يقرر الدكتور/ زكي نجيب محمود أولًا أن أهم ما يميز عقيدة المسلم هي عقيدة التوحيد التي ينبني عليها ما يسميه «البناء المتسق» في القيم فيضمن للإنسان ألا يتمزق سلوكه وأن ننقذ أنفسنا من نقائض عصرنا، ثم يمضي «فلو استطعنا نحن أن نقدم للعالم مجموعة متسقة الأجزاء من القيم الهادية للإنسان على طريق الحياة، كان هذا دورنا في بناء الحضارة المعاصرة»[(١)].

وعندما استمع في اجتماع رسمي لقول مسئول كبير «علينا تحفيظ شبابنا القرآن الكريم ليقوِّموا تلك الحضارة» عارضه مصححًا رأيه، فالأصوب «أن يقول إن علينا أن نزيد من تحفيظ شبابنا القرآن ليستطيعوا المشاركة في حضارة عصرهم»[(٢)].

ثالثًا: ضرورة ثبات المسلم المعاصر على عقائده ومبادئه:

إن المسلم المعاصر لا يختلف عن المسلم طوال العصور، أي منذ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «عن الحرية أتحدث» (ص:٨٧) - دار الشروق ١٩٨٦م.

عصر النبي ﷺ؛ إذ إنـه يتـسلح بالعقيـدة الإيمانيـة والقـيم الخلقيـة، ويظل مستمسكًا بالكتاب والسنة ويتزود بالمعرفـة والعلـوم النافعـة لعمارة الأرض، ويمضي في حياته الدنيوية قدمًا بين أمر يأتمر به ونهي ينتهي عنه، وقدر يـصبر عليـه ملتزمًـات بـشريعة ربـه ﷻ، آمـلًا في رضوانه وجنته في الآخرة.

وعندما نتكلم عن المسلم المعاصر، لا نغفل هذه الحقيقة، حتى لا يظن الظان أن هذا العصر يعطي صفة أخرى للمسلم لم تكـن لغـيره فيما سبق مـن عـصور، أو تدفعـه ليجعـل الهيمنـة لمـذاهب العـصر فيخضع لها على حساب دينه «كأن يحلل حرامًا أو يحرم حـلالًا تحـت شعار العصرية».

تقول الكاتبة الأمريكية المسلمة «مريم جميلة»: «إن البلاد المسلمة قد وقعت فريسة مصطلحات خاطئة، ومنهـا مـصطلح «العـصرية» وقد جني هذا المصطلح على الإسلام جناية كبرى»[1].

---

(١) نقلًا عن كتاب «مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام» أنور الجندي (ص:١١٣) مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

وقد لاحظنا من دراسة بعض آراء المهتدين للإسلام من الغربيين أمثال محمد أسد ومريم جميلة ومراد هوفمان تحذيرنا الشديد من اللهث وراء الأفكار الوافدة بحجة ملاحقة العصر بعد أن عرفوها قبلنا.

وها هو مراد هوفمان يضع النقاط على الحروف، ويفصّل ما أجملته مريم جميلة يقول د/ مراد هوفمان: «ومن البديهي بعد ذلك أن يكون المخطط الإسلامي لفلسفة الحياة والذي يفرض نفسه بديلًا، قادمًا من بيئة مخالفة، مواجهة حقيقة تصدم الفلسفة العصرية الغربية وجهلها بالقيم، وإباحيتها المطلقة لكل شيء حسب التعبير الأمريكي «لا شيء ممنوع» هذه المدنية العصرية الغربية تصطدم بالمخطط الإسلامي المضاد الجاد» الذي يراه البعض عتيقًا باليًا، لا لشيء سوى قيام صرحه واستثماره، غير مرتبط بعنصر الزمان، بمعنى صلاحيته لكل العصور»[(١)].

وكان الدكتور زكي نجيب محمود حريصًا أيضًا على الاستمساك

---

(١) «الإسلام كبديل» (ص:٢٠٦) ترجمة د. غريب محمد غريب، مجلة «النور» الكويتية ومؤسسة «بافاريا» - شوال ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

بالثوابت، كالعقيدة واللغة والقيم الأخلاقية، فإنه في تحليله لمواقـف الأمة من الأفكار الأساسـية التـي صـنعت منـاخ الحيـاة في أوروبـا وأمريكا، لاحظ أن هناك فئة رافضة لتلك الأفكار، وأخـرى تتلقـى تلك الأفكار وكأنها وحي من السماء، ثم يصوب موقف الفئة الثالثة وهي التي تهتدي بفطرتها إلى جادة الطريـق، فتتلقـى أفكـار العـصر لتعجنها عجنًا مع أصـولنا التـي أسـميناها فـيما أسـلفنا بالثوابـت، كالعقيدة، واللغة، والقيم الأخلاقية، التي تفـرض عـلى حاملهـا ألا يضحي بإنسانية الإنسان لأي سبب من الأسباب»[١].

كذلك على المسلم المعـاصر ألا يهتـز أمـام حمـلات التـشكيك في أنظمة الإسلام وتشريعاته بالموازنة بنظم أوروبا.

ولا تأتي هذه التوصية على لسان أحد مسلمي الـشرق، بـل عـلى لسان مسلم غربي تشبع بثقافة أوروبا وعاش في ظـل أنظمتهـا ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

(١) «عن الحرية أتحدث» د. زكي نجيب محمود (ص:٣٢١) - دار الشروق ١٩٨٦م.

يقول د. هوفمان: «يجب ألا يتلجلج المسلمون أمام مسائل مثل الديمقراطية، الجمهورية، فصل السلطات، فعليهم أن يؤكدوا لمن يتحداهم عدم وجود ما يخالف الإسلام أو يعاديه في ذلك»[1].

نستخلص من الآراء السابقة أنه بوسع المسلم المعاصر الحياة في ظل حضارة مغايرة لحضارته، دون التضحية بهويته وثقافته الإسلامية.

وقد تحققت أفضل الأمثلة في العصر الحديث بواسطة المسلمين الذين ابتلوا بحكم الاتحاد السوفيتي، وخضعوا لأشد أنواع «غسيل المخ»، إذ تتضاءل بجوارها آثار التعليم العلماني الذي طبقته دول الاستعمار الغربي أمثال انجلترا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وغيرها على مستعمراتها وفرضته على المسلمين فرضًا.

ويتطلب شرح هذه التجربة للإفادة منها وضمان استمراريتها، أن نعرض بإيجاز لموضوع «الثقافة والحضارة» ومدى التمايز بينهما:

---

(١) (ص: ٦٠) من كتاب «الإسلام عام ٢٠٠٠» د. مراد هوفمان - ترجمة عادل المعلم - مكتبة الشروق نوفمبر ١٩٩٥م.

الثقافة والحضارة:

ولكي نتجنب الاستغراق في التعريفات النظرية بين الثقافة والحضارة، والتمييز بينهما، نفضل اختيار دراسة الرئيس علي عزت بيجوفيتش[1]؛ لأنه لم يكتف بالتعريفات، بل تتبع الجذور التاريخية وشرح المفردات اللغوية، فدلّنا على السلوك العلمي الذي اجتاز طريقه هو نفسه، لأنه عانى واقعيًا بشدة بسبب استمساكه بثقافته الإسلامية أمام جيوش الإلحاد، فكيف استطاع الحياة في ظل حضارة مضادة لثقافته؟

وقد قدم بحثه المبتكر -دون أن يدري- لمسلمي العصر لحثهم على الصبر والمثابرة مهما اشتدت المحن، فمهما كانت المحن، فإن الإسلام «أخذ اسمه من قوانينه ونظامه ومحرماته ومجاهدة النفس والبدن التي يطالب الإنسان بها، وأيضًا من قوة النفس في مواجهة محن الزمان»[2].

(١) يُنظر كتابنا «خواطر حول كتاب: الإسلام بين الشرق والغرب» لعلي بيجوفيتش - ط. دار الخلفاء الراشدين ودار الفتح الإسلامي بالإسكندرية.

(٢) «الإسلام بين الشرق والغرب» (ص:٢٩٦) الرئيس علي عزت بيجوفيتش - ترجمة محمد يوسف عدس - مؤسسة «بافاريا» ومجلة «النور» الكويتية رجب ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

فمن رأيه أن الثقافة وثيقة الصلة بالدين، وتبدأ بالتمهيد السماوي، ولابد في الدين من عبادة، وهي لصيقة بالروح. أي: الإنسان من الداخل.

أما الحضارة فتتصل بالأدوات وتطورها، وهو تطور خارجي كمي.

وبتحليله اللغوي للفظين يذكر أن كلمة «Culturè» تتصل من ناحية الأصل اللغوي بكلمة «Cult» أي: عبادة، وهي باللاتينية «Cultus»، وهما ذو أصل مشترك من الكلمة الهند أوربية «Kwel».

أما كلمة حضارة «Civilization» فمتصلة بكلمة وطن «Civis» أو مواطن.

وبعد هذه التعريفات يشرح الرئيس علي عزت بيجوفيتش آثارها على حياة الإنسان بنوعيها -حسب تعبيره- البرانية والجوانية، ليصل إلى بيان الاختلاف البيِّن بين حضارة العصر وحكمة الإسلام، لأن الحضارة بشعار «أنتج لتربح، واربح لتبدد» تغري بالحياة البرَّانية على حساب الحياة الجوانية، أما الثقافة «وفقًا لطبيعتها الدينية» فتميل إلى التقليل من احتياجات الإنسان، أو الحد من درجة إشباعها.

ثم يميز بين الحضارة المعاصرة التي ترفع شعار «أطلق رغبات جديدة دائمًا وأبدًا»، وحكمة الإسلام في «كبح الرغبات»[١].

لذلك استطاع الرئيس علي عزت بيجوفيتش ممارسة حياته في ظل مناخ إلحادي ولم يهتز، بل ظل متمسكًا بثقافته الإسلامية، فكانت كسفينة النجاة في بحر الإلحاد المتلاطم، وكان الرُّبان الماهر الماسك بشراعه بقوة، مكافحًا تلاطم الأمواج ومقاومًا شدة الرياح.

وبالرغم من آرائه النقدية العنيفة لهذه الحضارة فلسفيًا وعلميًا ودينيًا بكتابه الجامع «الإسلام بين الشرق والغرب» فإنه لم يرفضها، وطالب فقط بتحطيم الأسطورة التي تحيط بها.

وهذا النقد للحضارة ليس دعوة لرفضها، فالحضارة لا يمكن رفضها حتى لو رغبنا نحن في ذلك، إنما الشيء الوحيد الضروري والممكن هو أن نحطم الأسطورة التي تحيط بها، فإن تحطيم هذه الأسطورة سيؤدي إلى مزيد من أنسنة هذا العالم، وهي مهمة تنتمي بطبيعتها إلى الثقافة»[٢].

---

(١) «الإسلام بين الشرق والغرب» (ص:٥٦-٩٤).

(٢) «الإسلام بين الشرق والغرب» (ص:١٣٣).

رابعًا: التثقيف الذاتي للمسلم المعاصر:

إن أول سؤال يطرأ على الذهن حول الحديث عن واجب المسلم المعاصر في التثقيف الذاتي هو:

هل يصح له الاطلاع المباشر على أصول الإسلام -الكتاب والسنة- ثم كتب الفقه والحديث ليتزود بالعلوم الشرعية ويستنتج الأحكام الفقهية، أم أن الأمر قاصر على العلماء المتخصصين؟

كانت المسألة محل نقاش بين العلماء، فرأى البعض أنه من «اختصاص الجماعة التشريعية في الأمة المكونة من العدول ذوي البصيرة النافذة بأحكام الشريعة ومصالح الدنيا» لذلك فلا يصح لغيرهم استنباط الأحكام من مصادر الإسلام.

ولكن الدكتور/ محمد عبد الله دراز يوسع دائرة الإباحة باعتبار أن هناك فائدة في دراسة موضوعات الأصول لغير المجتهد: «فإنا وإن لم نصل إلى مرتبة الاجتهاد والقدرة على الاستنباط فإنا نصل إلى معرفة مقاصد الشرع وسر أحكام الشريعة، وإنه لهدى تسكن إليه النفوس، وإنه لنور يشرق في نواحي القلب المؤمن ويدفع عنه الحيرة

ويطرد ما يلم به من خواطر»[1].

ونحن نرجح الرأي الثاني:

ففي زمن انتشر فيه العلم وكثر العلماء، وفاضت المكتبة الإسلامية بذخائر التراث، وتنافس العلماء في التأليف في شتى الموضوعات التي تفي باحتياجات المسلم في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق[2]، ثم أصبحت الأحوال مهيأة لكي يكتسب المسلم المعاصر ثقافته الإسلامية من مصادرها، ورائده في ذلك كله التقوى والإخلاص في تحري الحق لاسيما أن الإسلام يحض على العلم والتعليم.

إن تقدير الإسلام للعلم والعلماء أمر لا ينازع فيه أحد، فإذا «كان التعليم حقًا لكل إنسان كما يقول الميثاق العالمي وهو هدف مثالي

---

(١) من كتاب «فقه الأولويات في الإسلام» د. مجدي الهلالي (ص: ١٠، ١١).
والرأي الأول للأستاذ عبد الوهاب خلاف، والرأي الثاني للدكتور عبد الله دراز.
دار التوزيع والنشر الإسلامي بالقاهرة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) على سبيل المثال ينظر كتاب «علّم نفسك الإسلام» للدكتور نبيل عبد السلام هارون ط: الأولى - دار الوفاء بالمنصورة - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

عال فإن التعليم في الإسلام ليس مجرد حق بل هـو فريـضة «طَلَـبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» أي: ومسلمة.

وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «وَمَن سلكَ طريقا يَلْتَمِسُ فيه عِلْما سَهَّلَ اللهُ لهُ [بِهِ] طريقا إلى الجنَّةِ»[١]، فـالتعليم في الإسـلام مرتبط بالدين بينما هو منفـصل عنـه في المنـاهج الغربيـة، وفـيما رواه البخاري قال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[٢].

والفقه هـو العلـم بـدقائق الأمـور والتعليم هـو أثـر العلـم في الإنسان وتكوينه لا مجرد حفظ المعارف[٣].

كذلك نستند في ترجيح إباحة التثقيف الـذاتي للمـسلم المعـاصر إلى الضرورة:

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) رواه البخاري (٧١، ٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) (ص:٨٥) من كتاب «الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان ومقارنته بالإعلان العالمي لهيئة الأمم المتحدة» للأستاذ عبد الحفيظ نصار - دار الهدى للمطبوعات - ميامي - الإسكندرية سنة ١٩٩٧م.

«فنحن الآن في ظروف طارئة لم تمرّ بها الأمة الإسلامية من قبـل، فلا يكاد التاريخ يذكر أن المسلمين ظلّوا بلا خلافـة ولا رمـز يرفـع راية الإسلام ويدافع عنه وعن أبنائه إلا في هذا العصر الـذي نعـيش فيه، هذه الظروف الطارئة تستوجب مـن كـل منـا أن يتـزود -بعـد تقوى الله- بالعلم الشرعي الذي يوسع آفاقه ومداركه، ويعينه عـلى استيعاب الظروف المحيطة به في ظل ضوابط الشرع»[1].

المسلم في ظل ذلك كله مخير بـين الاكتفـاء بـالفروض أو تنميـة الإيمان بالطاعات وفعل الخيرات: فعن طلحـة بـن عبيـد الله ﵁ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ نَـسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ وَلاَ نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فَإِذَا هُوَ يَـسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَـوْمِ وَاللَّيْلَـةِ**». فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: «**لاَ إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ**». قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ**». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «**لاَ إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ**».

---

(١) (ص:٧) من كتاب «فقه الأولويات في الإسلام» د. مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامي بالقاهرة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لاَ إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ». فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ! لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»[1].

ومع النظر إلى تفاضل الأعمال وتعدد شُعَب الإيمان: يقول الدكتور عبد الكريم زيدان تحت عنوان «أي الأعمال أفضل؟»: «لا شك أن في تفاضل الأعمال الصالحة من حيث الأجر والثواب من حيث درجة طلب الشرع لها، فالفرض أفضل من المندوب، وما عظم نفعه للجماعة أفضل مما اقتصر نفعه على فاعله، والقاعدة في أفضل الأعمال الصالحة بالنسبة لشخص ما هو العمل المطلوب منه شرعًا في وقت معين وظرف معين، فالصلاة حين حلول وقتها أفضل من غيرها وأوجب على المسلم أن ينشغل بها، والجهاد في وقته أفضل بالنسبة لمن وجب عليه من القيام بنوافل العبادات وطلب العلم، والصيام في وقته أفضل بالنسبة لمن وجب عليه من الانشغال

---

(١) رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

بغيره من العبادات وهكذا»[١].

كذلك تتفاوت المحرمات، فعلى رأسها السبع الموبقات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ باللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ**»[٢].

والمسلم قبل ذلك وبعده مسئول أمام الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفنَاهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفيمَ أنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسمِهِ فِيمَ أبلاهُ؟**»[٣].

---

(١) (ص:٤١، ٤٢) من كتاب «أصول الدعوة» د. عبد الكريم زيدان مكتبة المنار الإسلامية - بغداد ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

(٢) رواه البخاري (٢٧٦٧)، ومسلم (٨٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٣٧).

خامسًا: ثقافة المرأة المسلمة المعاصرة:

إننا لم نضع هذا البحث في النهاية تهوينًا لشأن المرأة المسلمة ولا تقليلًا من مكانتها؛ فإنها كما هو معلوم طبقًا لشريعة الإسلام -على قدم المساواة فيما أوردناه في تحمل المسئوليات والتكاليف الشرعية.

وقد وجَّه القرآن الكريم الخطاب للرجل والمرأة معًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

وقد توخينا ذلك فقط للاختصار وتفادينا التكرار فإن كل ما عرضناه في هذه الدراسة ينسحب على المرأة المسلمة أيضًا: مع تنوُّع مسئوليات كل منهما، ولا ننسى أن «النساء شقائق الرجال».

وكيف نغفل عن مكانتهن وهن الأمهات والزوجات والأخوات والبنات والعمّات والخالات والجدّات؟

لقد قمن بدورهن خير قيام طوال تاريخ حضارتنا منذ الصحابيات الجليلات ومن أتى بعدهن، حيث ربَّين القادة وأبطال

الجهاد والعلماء والأمراء والفقهاء، ومنهن من أسهمن في الحياة الثقافية الإسلامية، في الفقه والأدب واللغة والتصوف والشعر، وربما لم تسجل صفحات التاريخ أسماءهن كلهن، ولكنهن وقفن جميعًا وراء الستار بعيدًا عن الأضواء وحب الشهرة والمجد واكتفين بالجزاء الأوفى من الله ﷻ.

وقد وردت آية جامعة في سورة الأحزاب، اقترن فيها المسلمون والمسلمات في جميع أحوالهم وأعمالهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقد أورد النيسابوري في تفسيره لهذه الآية أنه «يروى أن أم سلمة أو كل أزواج النبي ﷺ ولم قلن: يا رسول الله! ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء فنحن نخاف أن لا يقبل منا طاعة

فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ وذكـر لهـن عـشر مراتـب: الأولى: التسليم والانقياد لأمر الله، والثانية: الإيمان بكل ما يجـب أن يصدّق به فإن المكلف يقول أولًا كل ما يقول الشارع فأنا أقبله فهـذا إسلام، فإذا قال له شيئًا وقبله صدق مقالته وصحح اعتقاده. ثـم إن اعتقاده يدعوه إلى الفعل الحسن والعمل الصالح فيقنت ويعبد وهـو المرتبة الثالثة، ثم إذا آمن وعمل صالحاً كمّل غيره فيـأمره بـالمعروف وينصح أخاه فيصدق في كلامه عنـد النـصيحة وهـو المـراد بقولـه: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ ثـم إن الآمـر بـالمعروف والنـاهي عـن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه كما قال في قصة لقـمان ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧] أي بسببه. ثم إنه إذا كمل في نفسه وكمـل غـيره قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعـه منـه بقولـه: ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ وفيه إشارة إلى الـصلاة لأن الخـشوع مـن لوازمهـا ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنـون: ١، ٢] فلذلك أردفها بالصدقة. ثم بالصيام المانع مطلقاً مـن شـهوة الـبطن فضم إلى ذلك الحفظ من شهوة الفرج التي هي ممنوع منها في الصوم

مطلقاً وفي غير الصوم مما وراء الأزواج والسراري. ثم ختم الأوصاف بقوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ يعني أنهم في جميع الأحوال يذكرون الله[1].

أما عن اللغط الدائر حول مكانة المرأة في الإسلام فإننا نأتي بخلاصة دراسة المستشرقة الألمانية «زيجفرد هونكة» وقد عاشت في أوروبا وقرأت العهدين القديم والجديد، واستطاعت عن علم أن تعرف مكانة المرأة في الإسلام المعرفة الصحيحة، بعيدًا عن مؤثرات الآراء الخاطئة التي تحملها أوروبا نحو الإسلام بعامة والمرأة المسلمة بخاصة، وبقراءتها لترجمة معاني القرآن الكريم وفهمها لأحكامه، أخذت تصحح مفاهيم مواطنيها فإن «القرآن الكريم بصفته الدستور الإلهي الذي ينص على التشريعات والحدود المنظمة لكافة المجالات الدينية والدنيوية، الشخصية والعامة، إنما يؤكد أنه لا فرق بين الذكر والأنثى لا في الجوهر ولا في التكريم، ويساوي بينهما

---

(١) «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» للنيسابوري - تحقيق وتعليق د. حمزة النشرتي والشيخ عبد الحفيظ فرغلي ود. عبد الحميد مصطفى توزيع «الأهرام» بالقاهرة ١٩٩٣م.

مساواة تامة في كافة العبادات وأمور العقيدة، وفي الناحية الخلقية البحتة، كما في الأمور المالية المادية والاجتماعية»[١].

وبعد عرضها لبعض نصوص العهد القديم التي تصور آدم وحواء في صراع أزلي، وتتحول الصورة في أسفار العهد الجديد إلى كراهية، تجد الإسلام لا يصف المرأة بأنها أصل الخطيئة ولا يعرف الصراع بين الجنسين لا في الحياة الزوجية ولا في الحياة العامة، بل يذكر القرآن ما جعله الله ﷻ من مودّة ورحمة بين الزواج ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

كذلك فإن الرسول ﷺ أوصى بالنساء خيرًا كما أنه أوصى بالأمهات أكثر من وصيته بالآباء، وحرّم القرآن وأد البنات وساوى بينهن وبين الذكور في التربية.

---

(١) كتاب «الله ليس كذلك» زيجفرد هونكة (ص:٦١) ترجمة د. غريب محمد غريب - «دار الشروق» ومؤسسة «بافاريا» ومجلة «النور» الكويتية.

ضرورة الجهاد العلمي المتواصل:

لم تعرف أمة الإسلام طبقة المثقفين النخبة أو الصفوة بالمفهوم الغربي المعاصر -أي التي تكتفي بالتزود بالمعارف وتمضي في تثقيف ذاتها إلى الدرجات العليا التي تؤهلها إلى قيادة مجتمعاتها بقدر نبوغها في مجالات الفكر المحض والنظريات، أي محصورة في دائرة الفلك النظري فحسب، وربما كانت سلوكيات أغلبها مخالفة تمامًا لما تدعو إليها من فضائل وآداب ومثل عليا!

لم تعرف أمة الإسلام هذا الصنف من الناس، ولكن عرفت الطبقات العليا من العلماء المجتهدين من أهل العقد والحل، المتخصصين في التفسير والحديث والفقه، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فضلًا عن قيامهم بالتعليم والوعظ والتربية، وكافتهم يحرصون في المقام الأول على الاستناد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع الحرص على العبادات والالتزام بالسلوك الإسلامي القويم[١].

---

(١) يُنظر كتابنا «مع المسلمين الأوائل في نظرتهم للحياة والقيم» دار الدعوة بالإسكندرية.

فإن على المسلم المعاصر واجب الجهاد العلمي المتواصل، لتسلم له ثقافته ويحتفظ بأصالة شخصيته لكي لا تذوب بفعل أجهزة الأعلام الجبارة المسلحة القائمة على فكرة «العولمة» هادفة إلى صهر ثقافات الغير الغربية في أتونها.

وتتميز الثقافة الإسلامية فضلًا عن العقائد الإيمانية وفي أعلاها عقيدة التوحيد الخالصة من أية شائبة من الشرك، تتميز بالجانب التعبدي، والعنصر السلوكي المتمثل في العبادات، ولها دورها في تنبيه الإنسان المسلم إلى حقيقة وجوده، وتعريفه بمغزى حياته، وحثه على تحسين سلوكه دائمًا إلى الأفضل، فيظل طوال حياته حريصًا على صلته بالله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢]، أي متذللًا بالعبودية، مقرًا بالإلوهية ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مطيع لله في أمره ونهيه ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ بالطرف الأوثق، الذي لا يخاف انقطاعه من يمسك به ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ مرجع كل أمر خير وشر وهو المجازي عنه[١].

---

(١) «مختصر تفسير الإمام الطبري» دار الشروق.

وقد اجتهد العلماء والباحثون في محاولة معرفة مغزى الأمور التعبدية، ومن أقربها توفيقًا ما ذهب إليه الأستاذ/ رءوف أبو سعده فكتب: «الصلاة تريك نفسك في صورة العبد خمس مرات في اليوم والليلة، فتذكرك بمن أنت، والزكاة تدلُّك على أنك عامل في أرض الله بأمر الله، تؤدي خراجها في سبيله ﷻ وفق ما أمرك، والصوم يذكرك بأنك طاعم من رزق الله، إن شاء أطعمك وإن شاء حرمك، والحج لمن استطاع إليه سبيلًا يذكرك بالمنتهى، في يوم مجموع له الناس، وقد تقطع بهم الأسباب -إلا من وجهته ﷻ- كلهم ضارع إليه، يستغفره ويسأله ويستعينه» (١).

وفي هذا الغرض اخترنا رسالة الإمام ابن حزم؛ لأنها تحتوي على مجمل ما يجب على كل مسلم ومسلمة معرفته وأدائه.

وسنلخص هذه الرسالة التي وجهها ابن حزم لبعض إخوانه وأصدقائه الذين كتبوا إليه مسترشدين فكتب إليهم محددًا المسائل التي لا يستغني عنها من له أقل اهتمام بدينه فكتب:

---

(١) «من إعجاز القرآن» رءوف أبو سعده (١/ ١٦٩) دار الهلال ١٩٩٣م.

«سألتم -وقفنا الله وإياكم- عن أقرب ما يعتب به العبد المجرم ربه تعالى، وعن أفضل ما يستنزل به عفوه وفضله ﷻ، ويستدفع به سخطه وغضبه، وعن انفع ما يشتغل به من كثرت ذنوبه، وعن خير ما يسعى به المرء في تكفير صغائره وكبائره» ثم أجاب ذاكرًا قول الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ [هود:١١٤]، وحديث الرسول ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**»، فكان هذا الحديث موافقًا لقوله تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾ [النساء:٣١].

وقال ابن حزم: «فصح أن بأداء الفرائض واجتناب الكبائر -أعاذنا الله وإياكم منها- تحط السيئات التي هي دون الكبائر. فبقي أمر الكبائر، فوجب النظر فيها، فوجدنا الناس قد اختلفوا فيها. فقالت طائفة: هي سبع، واحتجوا بحديث النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، فذكر ﷺ الشرك، والسحر، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات

المؤمنات الغافلات». وروي عن ابن عباس أنه قال: «هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع». ثم ذكر الإمام ابن حزم بعد ذلك: «فمنها: قول الزور، وشهادة الزور، وعقوق الولدين، والكذب عليه ﷺ، وتعريض المرء أبويه للسب بأن يسب آباء الناس، وذكر الوعيد الشديد بالنار على الكفر، وعلى كفر نعمة المحسن بالحق، وعلى النياحة في المآتم، وحلق الشعر فيها، وخرق الجيوب، والنميمة وترك التحفظ من البول، وقطيعة الرحم، وعلى الخمر، وعلى تعذيب الحيوان بغير الزكاة لأكل ما يحل أكله، وما أبيح أكله منها، وعلى إسبال الإزار، وعلى مانع فضل مائه من الشراب، وعلى الغلول، وعلى مبايعة الأئمة للدنيا... وعلى المقتطع بيمينه حق امرئ مسلم، وعلى الإمام الغاش لرعيته، وعلى من ادّعى إلى غير أبيه... وعلى من غلّ، وعلى من ادّعى ما ليس له، وعلى لاعن ما لا يستحق اللعن، وعلى بغض الأنصار، وعلى تارك الصلاة، وعلى تارك الزكاة وعلى بغض عليّ رضي الله عنه».

ويقول ابن حزم: «وقد أطلت التفتيش على هذا منذ سنين، فصح

لي أن كل ما يوعد الله به في النار -أي في القرآن- فهو من الكبائر» ثم يقدم أحاديث الرسول ﷺ كهدايا إلى أصحابه، وهي الدالة على الأذكار الشرعية وقراءة القرآن والاستغفار «فيستحب للمسلم الذي يطلب النجاة أن يأتي بها لعله أن يواري ذنوبه ويوازن، وأن يواظب على قراءة القرآن فيختمه في كل شهر مرة، فإن ختمه في أقل فحسن، ما بين ما ذكرناه إلى أن يختمه في ثلاث لا أقل، ولا يسع أحدًا أن يختمه في أقل من ذلك، ويواظب مع ذلك على قراءة قل هو الله أحد ولو في كل ركعة من صلاته مع أمّ القرآن وسورة أخرى».

ويمضي ابن حزم في تقديم هداياه «وليواظب على صلاة الفرض في الجماعة»، وبخاصة صلاة الفجر والعشاء.

ثم أخذ يرتب الناس «على مراتب الحقائق في دار القرار في الآخرة -وأما الدنيا فمحل ميّت بؤسها منقض، وسرورها منس كأن ذلك لم يكن- فوجدتها عشر مراتب:

فأولها: مرتبة عالم يعلم دينهم، فإن كل من عمل بتعليمه أو علم شيئًا مما كان هو السبب في علمه، فذلك العالم والمتعلم شريك في

الأجر إلى يوم القيامة على آباد الدهور.

والثانية: حكم عدل فإنه شريك رعيته في كل عمل خير عملوه في ظل عدله وأمن سلطانه بالحق لا بالعدوان.

وأما الثالثة: مجاهد في سبيل الله ﷻ، فإنه شريك لكل من يحيمه في كل عمل خير يعمله.

ويعد هذه مرتبة رابعة: هي مرتبة الحظوة والقربة، وهي إحالة إنسان مسلم فتح الله له بابًا من أبواب البر مضافًا إلى أداء فرائضه، إما في كثرة صيام، أو كثرة صدقة، أو كثرة صلاة، أو كثرة حج وعمرة، وما أشبه ذلك...

ثم مرتبة خامسة: وهي مرتبة الفوز والنجاة، وهي حالة إنسان مسلم يؤدي الفرائض ويجتنب الكبائر ويقتصر على ذلك...

ثم بعدها مرتبتان: وهما مرتبتا السلامة مع العزر، وعاقبتهما محمودة؛ إلا أن ابتداءها مذموم مخوف هائل، وهما حال إنسان مسلم عمل خيرًا كثيرًا وشرًا كثيرًا، وأدى الفرائض وارتكب الكبائر ثم رزقه الله التوبة قبل موته.

والثانية حال امرئ مسلم عمل حسنات وكبائر ومات مصرًا، إلا أن حسناته أكثر من سيئاته وهذان عززًا ولكنهما فائزان ناجيان بضمان الله ﷻ لهما إذ يقول: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢]، ولقوله: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [القارعة:٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود:١١٤]، ولا خلاف بين أحد من أهل السنة فيما مكنا من هذا».

ثم مرتبة ثامنة: وهي مرتبة أهل الأعراف، وهي مرتبة خوف شديد وهول عظيم، إلا أن العاقبة إلى السلامة، وهي حال امرئ مسلم تساوت حسناته وكبائره...

ثم مرتبة تاسعة: وهي مرتبة نشبة ومحنة وبلية وورطه وداهية، نعوذ بالله منها، وإن كانت العاقبة إلى عفو وإقالة وخير، وهي حال امرئ مسلم خفت موازينه ورجحت كبائره على حسناته»... وبعد وصف ابن حزم لمن على شاكلته في الأحاديث الصحاح، يستطرد فيقول: «فيبقى هؤلاء في النار على قدر ما أسلفوا، حتى إذا بقوا كما

جاء في الحديث الصحيح «جاءت الشفاعة التي ادخرها الله لنبيه ﷺ وجاءت الرحمة التي ادخرها لذلك اليوم الفظيع والموقف الشنيع وأخرجوا كلهم من النار فوجًا بعد فوج بعدما امتحشوا أو صاروا حممًا... أي أنهم لا يخلدون في النار...

وأما المرتبة العاشرة فهي مرتبة السحق والبعد والهلكة الأبدية، وهي مرتبة من مات كافرًا، فهو مخلد في نار جهنم لا يخفف عنهم من عذابها، ولا يقضي عليهم فيموتوا...

وبعد أن نصح الإمام ابن حزم بالإكثار من النوافل، يرى أنه ما يلزم كل إنسان من حفظ القرآن فهو أم القرآن وشيء من القرآن معها، مذكرًا بفضل تعلم القرآن كما جاء في حديث الرسول ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآن وَعَلَّمَهُ».

ويحض إخوانه على طلب العلوم بأنواعها مع إخلاص النية فقد صح أنه قال: «من تعلَّمَ عِلما مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجهُ اللهُ، لا يتعَلَّمُه إلا ليُصِيبَ بِهِ عَرَضا مِن الدُّنيا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يومَ القِيامَةِ»، فالله الله عباد الله، تداركوا أنفسكم بتصفية نياتكم في هذا الباب وفي

العمل المرغوب في الصلاة والصيام والصدقة، مع تحذيره الشديد من النفاق «**واعلموا رحمكم الله أن من تعمد اللهو واللعب حتى مضى وقت صلاة مفروضة ولم يصلها، أخف ذنبًا عند الله ممن صلاها لأجل الناس ولولاهم ما صلاها...**».

وفي إجابته عن سؤال أي الأمور أفضل في النوافل: الصلاة أم الصيام أم الصدقة؟ يجيب الإمام ابن حزم «جاءت الرغائب في كل ذلك، وكلها فعل حسن، وما أحب للمؤمن أن يخلو من أن يضرب في هذه الثلاثة بنصيب ولو بما قل».

ويستطرد في موضوع آخر «وأما ما سألتم عنه مما روي في حديث التنزل، وهل الإجابة مضمونة في تلك الساعة -يقصد صلاة الليل- فحديث التنزل صحيح، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، فإنما شرط الإجابة العمل الصالح، أو أن يكون الداعي مظلومًا، على ما جاء في الأثر عن النبي ﷺ.

أن دعاء المسلم لا يخلو من إحدى ثلاث: إما تعجيل إجابة، وإمّا

كفاية بلاء، وإما تعويض أجر، أو كلامًا هذا معنـاه. فـاعلموا وفقنـا الله وإياكم أن من دفع الله تعالى عنه بلاء،أو عوّضه أجرًا فقد أجـاب دعاءه ولم يُخيبه، وللإجابة في اللغة معنى غير الإسعاف.

وأمـا عـن تفاضـل الكبـائر، فـإن الحـسنات تتفاضـل والكبـائر تتفاضل، سُئل ﷺ عن أكبر الكبائر، فذكر ﷺ أشياء منها: زنا الزّاني بامرأة جاره، ومنها: زنا الشيخ، ومنها: زنا الزاني بامرأة المجاهد.

ثم ختم الرسالة ببيان التوبة وأنواعها، وفي النهاية فإن التوبة إنـما هي التبرؤ من الذنب والخروج عنه بما أمكن[(١)] ...

انتهى الكتاب بحمد الله تعالى وتوفيقه وحده.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

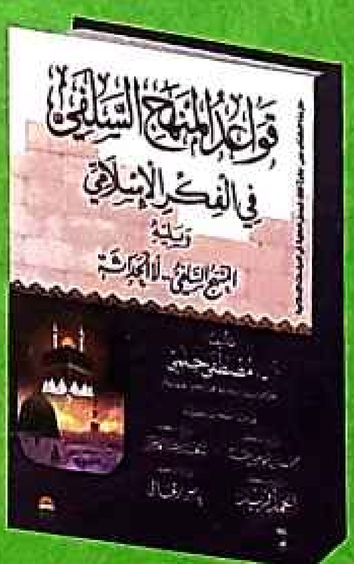
---

(١) باختصار من «رسالة التلخيص لوجود التخليص» للإمام ابن حزم.

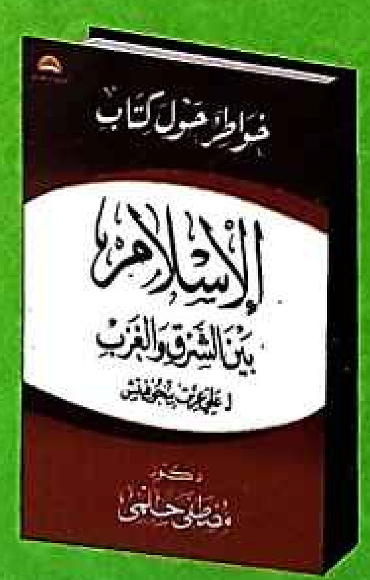
فهرس

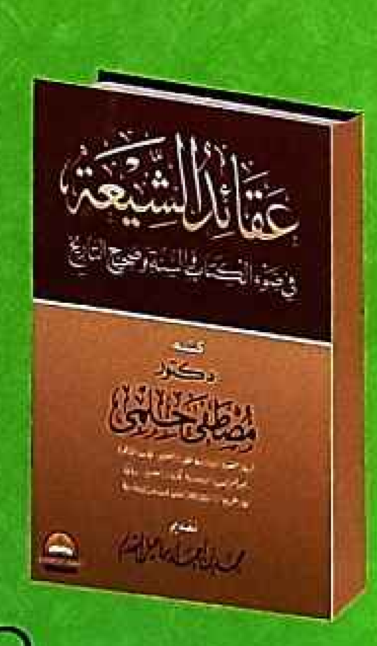












توزيع



الإسكندرية - أبو سليمان - ش مصر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٦٧١٤٢٦٨ - ٠١٠٥٠١٢١٥١
d_khalafa2@hotmail.com

الإسكندرية
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٢٥٨٢٤٥٧٤
dar_alfath@gawab.com